سورة الفجر

منهجيات في الإصلاح والتغيير

أ.د. صلاح سلطان

المستشار الشرعي للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية – مملكة البحرين

أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم – جامعة القاهرة

رئيس الجامعة الإسلامية الأمريكية سابقًا – ديترويت- ميتشجان

www.salahsoltan.com

مقدمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير من أكرمه الله بالآيات المعجزات، وعلى آله وأصحابه الذين جمعوا القرآن في صدورهم وفهموه في عقولهم، وحوَّلوه إلى واقع حي في واقعهم فتركوا لنا مثالا ربانيا يقتدى به، وبعد..

فقد دُفعت أن أصلي إماما لصلاة الفجر في أحد أيام العشر الأوائل من ذي الحجة في أحد مساجد مملكة البحرين، وقرأت سورة الفجر، وشعرت أن مذاق الآيات في قلبي وعقلي ووجداني غير ما سبق من مئات المرات التي قرأت فيها سورة الفجر، حيث انقدح في ذهني أن هناك علاقة بين أول كلمة في السورة: {وَالْفَجْرِ} وآخرها: {جَنَّتِي}، إذن الفجر هو طريقنا إلى الجنة، بشرط أن تكون الصلاة في جماعة، لقوله تعالى: {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي} [الفجر: ٢٩]، قبل {وَادْخُلِي جَنَّتِي}[الفجر: ٣٠]، وبشرط آخر أن تكون من قلب يحمل الرضا عن الله، لقوله تعالى: {رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} [الفجر: ٢٨]، إلى آخر هذه المعاني التي تفجرت - بفضل الله - كأنها ينبوع ماء في صحراء قاحلة، فأنبت الله به الأشجار والأزهار والثمار، ونزلت هذه المعاني بردًا وسلاما على عقلي وقلبي ووجداني، فقلت لعل هذه الفيوضات من نفحات هذه العشر الطيبات، وقمت بإلقاء خاطرة بعد الصلاة إلى المصلين فانفتح لي من المعاني الجديدة ما زاد صدري له انشراحا، وعشت مع السورة بعدها بالعقل تدبرا، وبالقلب تأثرا، وبالنفس تغيرا، ففتح الله تعالى عليَّ فيها مزيدا من الخير، وأحببت أن أقيِّد هذه الأفكار والمعاني، وأبثها إلى إخواني وأخواتي لعلها تلقى من الأجر ما ينفعنا به الله في الدنيا والآخرة.

وكنت قد ذكرت في كتابي "سورة الكهف ..منهجيات في الإصلاح والتغيير " أنني لست مفسرا للآيات ولا باحثا عن التفصيليات، ولكني مشغول بالمنهجيات التي تساعد في إصلاح النفس تربويًا، وتغيير المجتمع دعويًا، لنستحق العناية الربانية ونسعد في الدنيا والآخرة، وأحب أن أؤكد هنا على معنى "منهجية" في النقاط التالية:

١. منهجية الدولة الإسلامية أن تكون المرجعية العليا هي الوحي الرباني في القرآن الكريم والسنة النبوية، أما منهجية الدول غير الإسلامية فالمرجعية العليا للاجتهاد البشري في الدستور والقانون.

٢. منهجية القائد المسلم الرباني أن يعتمد في اتخاذ القرار منهجية الاستخارة لرب الأرض والسماء، ثم استشارة الخبراء والحكماء ، أما منهجية المسؤول أو القائد الدكتاتور فهي منطق الفرعون: (مَا أُرِيكُمْ إِلا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (غافر:٩).

٣. منجية المذهب الظاهري رفض القياس والتعليل، أما منهجية أكثر المذاهب فاعتماد القياس.

٤. منهجية الربانيين أن تكون الأولوية لإعمار الدار الآخرة مهما وقع عليهم من ضرر في دنياهم، أما منهجية الماديين فهي الحرص على فتات الدنيا وإن خربت آخرتهم.

٥. منهجية الأب المربي أن يوفر وقتا كافيا ليصاحب أولاده ويستشعرون حبه، ويتعلمون منه، وقد يرفض أعمالا إضافية لزيادة الكماليات، حيث يعتبر أن وجوده مع أولاده كمربٍ من الضروريات أو الحاجيات، أما الأب الممول فإنه يخرج من عمله الأصلي إلى أعمال فرعية لتوفير الكماليات، وإن ضاعت الضروريات والحاجيات في تربية الأبناء على الدين الحنيف والمكارم الأخلاقية.

هذه أمثلة لا تفيد الحصر وإن كانت تساعد على فهم ما أريده من طريقتي في استنباط المنهجيات وليس الوقوف عند الأحكام والتفصيليات، وصولا إلى أن نحول القرآن الكريم إلى واقع في حياتنا تأسيا بما فعل أصحاب النبي ρ، ومن هذا المنطلق كان التفكير في المعايشة مع سورةالفجر، وقد أفاض الله تعالى علي بهذه المنهجيات التالية:

١. المنهجية الأولى: صلاة الفجر في جماعة طريقنا إلى رضا الله والجنة { وَالْفَجْرِ .. وَادْخُلِي جَنَّتِي}.

٢. المنهجية الثانية: استثمار الفرص الربانية { وَلَيَالٍ عَشْرٍ}.

٣. المنهجية الثالثة: وحدانية الخالق وزوجية المخلوقات { وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}.

٤. المنهجية الرابعة: ليل العابدين لا العابثين { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}.

٥. المنهجية الخامسة: "ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول" {لِّذِي حِجْرٍ}.

٦. المنهجية السادسة: الطغيان والفساد سببان للهلاك في الدنيا والآخرة .

٧. المنهجية السابعة: صلاة الفجر من أسباب النصر .

٨. المنهجية الثامنة: كيف نرضى بالله وعن الله تعالى؟ .

٩. المنهجية التاسعة: كفالة الأيتام والتعفف عن المال الحرام .

١٠. المنهجية العاشرة: الاستعداد قبل يوم الميعاد { يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}.

١١. المنهجية الحادية عشر: أحكام التجويد تثري المعاني.

١٢. المنهجية الثانية عشر: العناية الربانية.

١٣. المنهجية الثالثة عشر: { وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً }.

وقد بدا لي ـ من توفيق ربي ـ أن هذه السورة الصغيرة تطالب المسلم والمسلمة بنوعين من الواجبات: تربوية لإصلاح النفس ودعوية لإصلاح المجتمع، وقد صنفتها إلى خمسة مقاطع مترابطة هي:

١. واجبات تربوية تعبدية تمتلئ بشعائر صلاة الفجر وقيام الليل والدعاء والقنوت لله، وامتلاك ناصية الهوى من خلال عقل متشبع بالوحي الرباني.

٢. واجبات إصلاحية للفساد والطغيان الاجتماعي والسياسي، كما جاء في المقطع الخاص بعاد وثمود وفرعون.

٣. العودة إلى الجانب التربوي وتثبيت حقائق الإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره، من خلال نوعي الرضا بالله وعن الله سبحانه، ولا يرى العبد في قلة الرزق إهانة بل يعيش بنفس راضية مرضية.

٤. النهوض بالعمل الخيري الاجتماعي من خلال عمل فردي وجماعي ومؤسسي سعيا إلى كفاية الفقراء والأيتام والمساكين واستقرار واستمرار كفالتهم من خلال الحض والحث على رعايتهم بشكل مؤسسي حتى لا يموت الفقير موتا بطيئا بموت الغني المحسن.

٥. الاستعداد الدائم ليوم المعاد باستحضار هذا الفناء لكل ما على الأرض، والوقوف أمام الله والمثول أمام جهنم ثم استحضار هذه الصورة

الرائعة من جنات النعيم التي لا تدخلها إلا النفوس المطمئنة، التي تصلي الفجر، وتقاوم الفساد، وترضى عن الله، وترعى الأيتام، وتحض على الإطعام وتستعد للقاء الله.

هذا التنوع في الواجبات التربوية والدعوية بين الشعائر التعبدية والأعمال السياسية والإيمانية والاجتماعية ه و م ا يجب أن نؤول إليه، وأن نتغير به فهمًا وسلوكًا ودعوة وفقا لهذا المنهج السديد في القرآن المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهذا هو التحدي الذي يجب أن نصدْق الله فيه لننتقل مع سورة الفجر من خمول النفس عن القيام، وجفاف العين عن البكاء، وقسوة القلب من قلة الخوف والرجاء، وشدة الفزع من طغيان الأعداء، وكثرة الهلع على المال، إلى رقة القلب بالليل وسعة الحركة بالنهار نحو الإصلاح السياسي والاجتماعي، ويأوي الإنسان إلى فراشه منهكًا من السعي في هذه الألوان من فعل الخير ونفع الغير، فيمسح النداء الرباني عنه كل عناء عندما يسترجع في عقله وقلبه ووجدانه هذا النداء :{ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارجعي إلى ربك راضية مرضية وادخلي في عبادي وادخلي جنتي} [الفجر : ٢٧].

وقد استوثقت واستشرت عددًا كبيرًا من خيرة الدعاة والعلماء في المنهجيات كلها بشكل عام، وعلماء القراءات بشكل خاص في المنهجية الحادية عشر: أحكام التجويد تثري المعاني، منهم العلامة الشيخ الدكتور محمد مأمون كاتبي، مستشار القرآن الكريم في وزارة العدل والشئون الإسلامية في مملكة البحرين، والشيخ محمد كريم راجح شيخ القراء في الشام، وقد أكرمني الجميع بالدعاء الثري الندي بما منَّ الله عليَّ من فيوضات ربانية أحمد الله تعالى فهو وحده صاحب الفضل والمنة .

وأملي الكبير أن تجد هذه المنهجيات طريقها إلى إعادة التفكير، وبناء العقل الرباني الذي يجعل من هذه الآيات ليست لونًا من البركات وإنما تتحول إلى منهجيات في الإصلاح والتغيير للنفس والمجتمع والوطن والأمة والعالم كله .

كما أرجو - رجاء الولهِ بحب الله ورسوله وكتابه والمؤمنين - أن نعود إلى قراءة سورة الفجر بهذه المنهجيات الجديدة والنهوض بمطالبها التربوية والدعوية عسى أن تصبغنا بصبغة الله وننال ذخرها في الدنيا والآخرة ونحظى بالعناية الربانية في رضا الله والجنة.

داعيا الله تعالى أن يكتب لنا ثواب المهتدبرين، ونعيم المخلصين، وصبغة العاملين، ومكارم المصلحين، ومنازل الربانيين، وأن يجعل من هذه المنهجيات سبيلا لهداية قوم كافرين، ويشفي بها صدور قوم مؤمنين.

والله ولي التوفيق...

أ.د.صلاح الدين سلطان

رمضان ١٤٣٠هـ

مكة المكرمة

المنهجية الأولى: صلاة الفجر في جماعة طريقنا إلى رضا الله والجنة { وَالْفَجْرِ .. وَادْخُلِي جَنَّتِي}

اختار الله تعالى لهذه السورة اسم "الفجر"، وأول كلمة فيها على غير عادة كثير من السور يبدأ ب "الفجر" وآخر آية في السورة : { وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر : ٣٠] ، والنتيجة الطبيعية لذلك هي أن صلاة الفجر أكبر بوابة إلى دخول الجنة، وأن عدم صلاة الفجر قد يكون - والعياذ بالله - سبباً في إغلاق أبواب الجنة، لكن هناك نصاً قطعياً لا يجوز إغفاله في هذه المعادلة الربانية والشعيرة الإيمانية أن دخول الجنة عبر بوابة صلاة الفجر مرهون بقوله تعالى : {فَادْخُلِي فِي عِبَادِي } [الفجر : ٢٩] ، لتكمل هذه السورة الرائعة والقانون الرباني أن الأصل في صلاة الفجر التي تدخل الجنة أن تكون في جماعة.

وليس هذا كل نفحات ورحمات صلاة الفجر في جماعة بل إن الآيتين قبله ما تدلان على أن صلاة الفجر في جماعة تؤدي إلى أكبر أمان واطمئنان وسعادة في نفس الإنسان في الدنيا ، ورضا الله تعالى في الدنيا والآخرة، حيث يقول سبحانه : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ % ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً} [الفجر٢٧-٢٨]، فإذا أردنا أن نحوِّل القرآن الكريم بحق من نصوص وآيات تُتلى تبركا فقط ، أو رغبة في عشر حسنات مضاعفات لكل حرف فيجب أن تكون صلاة الفجر في جماعة جزءاً أو ثابتا من ثوابت الإيمان في حياة كل مسلم لينتقل بنفسه من النفس الأمارة بالسوء ليتدرج بها إلى النفس اللوامة وينتهي إلى هذه النفس المطمئنة التي يناديها ربها هذا النداء العلوي الزكي الندي، حيث يقول سبحانه : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ % ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً % فَادْخُلِي فِي عِبَادِي % وَادْخُلِي جَنَّتِي}[الفجر : ٢٧ : ٣٠]، وتلكم منزلة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ولعل هذا الجدول يبين هذا المعنى:

المقربون	النفس المطمئنة	حضور القلب
أصحاب اليمين	النفس اللوامة	استحضار القلب
أصحاب الشمال	النفس الأمارة بالسوء	غفلة القلب وقسوته

والمنهجية التي أحب أن أؤكد عليها هنا حتى ننتقل من جعل القرآن عضين، فنفرق بين آياته وموضوعاته وفواتح سوره وخواتيمها، أن يكون لدينا يقين لا يحمل أدنى درجات التردد أن صلاة الفجر هي أفضل دواء يساعد لنقل الإنسان من النفس الأمارة بالسوء إلى أن يكون من أصحاب اليمين، وذلك لما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرةَ τ أنَّ رسولَ اللهِ ρ قال: «يَعقدُ الشيطانُ على قافيةِ رأسِ أحدِكم إذا هو نامَ ثلاث عُقدٍ، يَضربُ على مكان كلِّ عُقدةٍ: عليك ليلٌ طويلٌ فارقُدْ، فإنِ استيَقَظَ فذكرَ اللهَ انحلَّتْ عقدةٌ . فإن توضَّأَ ا نحلَّتْ عقدةٌ، فإن صلَّى انحلَّتْ عقدةٌ، فأصبح نشيطاً طيِّبَ النّفسِ، وإلاّ أصبحَ خبيثَ النفسِ كسلانَ ». (صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم تصل، الحديث ٢٤١١. طرفه في ٩٦٢٣، ٤/٩٨)، فإذا لم يصلِّ الإنسان كان خبيثً ا داخليًا، وك سلانًا خارجيًا، فإذا صلى الفجر طابت ونشطت نفسه ، وفي العادة إذا انتقل الإنسان من ترك صلاة الفجر إلى صلاتها جماعة ف يحتاج إلى مجاهدة ليعالج تردد النفس كل ليلة هل يذهب إلى المسجد أم لا ؟!، لكن التلاوم ينتهي به إلى أن يدفعها إلى المسجد، لكنه لا يلبث بعد

حين أن يمشق صلاة الفجر في المسجد وأن ينهض للصلاة دون مغالبة وتكون جزءً ا راقيا ثابتا في حياته ليصل إلى مستوى الأمن والأمان والاطمئنان، وهي أقرب الطرائق لنيل رضا الرحمن، كما أنها توقف الإنسان على أبواب الجنان وتجعله مؤهلا لرحمة الله تعالى، والنعيم في جنات الخلود، ولعل الآيات والأحاديث تؤكد بوضوح كامل على هذا المعنى، حيث ورد في كتاب الله عز وجل وهدي رسوله ρ ما يؤكد أن لصلاة ووقت الفجر خصوصيات ليست لغيره، والدليل على ذلك ما يلي:

أولا: قرآن الفجر مشهود من ملائكة الله Y، لقوله تعالى : { أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْ سِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً } [الإسراء : ٧٨] ، ويفسر هذا النص القرآني حديث البخاري الذي رواه بسنده عن أبي هريرة τ قال : «سمعتُ رسولَ اللهِ ρ يقول: تَفضُلُ صَلاة الجَميعِ صلاةَ أحدِكم وحدَهُ بخمسٍ وعشرينَ جُزءاً، وتجتمعُ ملائكةُ الليلِ وملائكةُ النهارِ في صلاةِ الفجرِ » ثم يقول أبو هريرة: فاقرأُوا إن شئتم: {إنَّ قرآنَ الفجرِ كانَ مَشهوداً} [الإسراء : ٧٨] . (صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل صلاة الفجر في الجماعة، ٢/٣٥٣).

ثانيا: أن الصيام يبدأ من الفجر، وإذا كانت شعيرة الصيام من أكثر العبادات التي يحبها ربنا سبحانه وتعالى ، لما رواه البخاري بسنده عن أبي هريرة τ أن النبي ρ روى عن ربنا Y : أنه قال:«الصوم لي وأنا أجزي به ، يدع شهوته وأكله وشربه من أجلي ، والصوم جنة ، وللصائم فرحتان : فرحة حين يفطر ، وفرحة حين يلقى ربه ، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك »(صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى يريدون أن، ١٥/٤٣٢).

فإن أذان الفجر هو الإعلان عن بدء رحلة العبد إلى ربه في مدارج السالكين ومصاعد المتقين ومدارك العارفين.

ثالثا: صلاة الفجر مصدر الطاقة والحيوية وطيب النفس، وذلك لما رواه مسلم بسنده عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ρ: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ ثَلاَثَ عُقَدٍ إِذَا نَامَ بِكُلِّ عُقْدَةٍ يَضْرِبُ عَلَيْكَ لَيْلاً طَوِيلاً . فَإِذَا اسْتَيْقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ وَإِذَا تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عنْهُ عُقْدَتَانِ فَإِذَا صَلَّى انْحَلَّتِ الْعُقَدُ فَأَصْبَحَ نَشِيطاً طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلاَّ أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلاَنَ» (صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب حث على صلاة الوقت وإن قلت، ٦/٥٤)، وفي الحديث دلالة ظاهرة على أن النشاط والحيوية وسلامة الطوية لا تخالط عبدا لم يصلِّ الفجر، وأن الخبث من الداخل والكسل من الخارج حليفان لكل من ترك صلاة الفجر.

رابعا: صلاة الفجر معيار يومي لصدق الإيمان أو تسرب النفاق لقلب المهلم، للحديث الذي رواه البخاري بسنده أبي هريرةَ τ قال : قال النبيُّ ρ: «ليسَ صَلاةٌ أثقلَ على المنافقين من الفَجرِ وَالعِشاءِ، وَلو يَعلمونَ ما فيهما لأتَوهما ولو حَبْواً . لقد هَممتُ أن آمُرَ المُؤذِّنَ فيُقيمَ، ثمَّ آمُرَ رجُلاً يَؤُمُّ الناسَ، ثمَّ آخُذَ شُعَلاً من نارٍ فأُحرِّقَ على مَن لا يَخرُجُ إلى الصلاةِ بعد» (صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب فضل

العشاء على الجماعة، ٣٥٨/٢)، وفي هذا الحديث دليل على أن غياب الإنسان عن صلاتي الفجر والعشاء في جماعة أكبر دليل على تسرب النفاق للقلب، وقد أكد الله تعالى هذا المعنى في قوله : { إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى }[النساء : ١٤٢] ، أما أهل الإيمان فهم في صفوف المساجد في صلاة الفجر لا يبرحونها إلا لعذر شرعي من مرض أو سفر أو لبعد المسجد كما هو في بعض بلاد الغرب ولا ينطبق هذا على بلادنا الإسلامية . وإذا استحال على المسلم أن يصلي في المسجد لأي عذر مشروع فيجوز أن يصلي بمن معه في بيته ، والأولى أن يتفق مع إخوانه المسلمين القريبين منه أن يصلوا عند أحدهم ، أو بالتناوب فيما بينهم في جماعة حتى ينالوا ه ذه الدرجات ، ويؤكدوا صدق الإيمان ويحفظوا أنفسهم من الكسل الذي يدل على نفاق القلب ، ونتوقى هذا الغضب الشديد من الله تعالى ثم من رسول الله ρ حتى إنه ـ وهو الرحمة المهداة ـ همَّ أن يشعل نارا في كل بيت لم يصلِّ أهله الفجر في المسجد .

ومن روائع ما ذكره شيخنا الحبيب الدكتور عمر عبد الكافي في البرنامج التلفزيوني "في رياض الجنة" :

- ✓ صلاة الفجر ميزان اليوم.
- ✓ صلاه الجمعة ميزان الأسبوع.
- ✓ صوم رمضان ميزان العام.
- ✓ أداء الحج ميزان العمر.

فمن تخلف عن شيء من ذلك اختل إيمانه.

خامسا: صلاة الفجر هي الإذن لرؤية الرحمن سبحانه، للحديث الذي رواه البخاري ومسلم بسندهما عن جرير بن عبد الله τ قال: كنّا عِنْدَ النبيِّ ρ فنظرَ إلى القمر لَيلةً - يَعني البدرَ - فقال: "إنكم سترونَ ربَّكم كما ترونَ هذا القمرَ، لا تُضَامُونَ في رُؤْيتِهِ، فإنِ استَطعْتم أن لا تُغْلَبُوا على صلاةٍ قبلَ طُلُوعِ الشمسِ وقبلَ غُروبِها فافعَلوا". ثم قرأ: {وسَبِّحْ بحمدِ ربِّكَ قبلَ طلوعِ الشمسِ وقبلَ الغُرُوب } (ق: ٩٣) (صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة العصر، ٢/٢٢٠).

يؤكد هذا النص الجلي أن صلاة الفجر والعصر هما التصريح والإذن بالدخول إلى مجلس الرحمن ورؤية وجهه سبحانه ، وهو أعظم نعيم في الجنة، ولا يرى أهل الجنة نعيما مثله ولا سعادة تقاربه أن يكشف الله تعالى عن وجهه الكريم – من غير تجسيد ولا تشبيه – فيراه عباده الذين طال شوقهم إليه، ورغبتهم فيه، وتضرعهم في جوف الليل وسجدات السحر ألا يحرمهم الله تعالى من النظر إلى وجهه الكريم.

سادسا: الفجر مبعث الأمل لكل إنسان؛ فإذا اشتدت الظلم، واستحكمت الأزمات، وتوالت الابتلاءات لا يجد الإنسان كلمة يمكن أن تبعث الأمل مثل كلمة الفجر، في هذه العبارة التي تمسح على قلوب المبتلين ونفوس المظلومين وأنَّات المقهورين: "مهما طال الليل لا بد من طلوع الفجر"، فتعاقب الليل والنهار وبزوغ الفجر وطلوع الشمس صار رمزا لانكشاف الغم وذهاب الظلمة ووضوح الرؤية.

سابعا: صلاة الفجر أكبر وقاية من النار، لما رواه مسلم بسنده عن عمارة بن روينة τ قال: سمعت رسول الله ρ يقول «لَنْ يَلِجَ النَّا رَ أَحَدٌ صَلَّى قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا » يَعْنِي الْفَجْرَ وَا لْعَصْرَ. (صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما، ١١٠/٥).

فمن منا يجد هذا الضمان الإلهي والتأمين الرباني أن يحفظه الله من النار بصلاة الفجر، إن قلوبا ترتجف من هول يوم القيامة وعذاب جهنم وسلاسلها ومقامعها وزقومها وغسلينها وضيقها وحرها وزمهريرها ونتْنها، كل هذا يجعل صاحب الإيمان تؤرقه هذه النيران وتحركه لصلاة الفجر عسى أن تعصمه أن يحرقه ربنا في نار جهنم.

ثامنا: صلاة الفجر أكبر ضمان رباني لدخول الجنة، لما رواه البخاري ومسلم بسندهما عن أبي موسى الأشعري τ قال: قال رسول الله ρ: «من صلَّى البَرْدَينِ دخلَ الجنةَ» (صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل صلاة الفجر، ٢٤٦/٢).

فمن منا يعرف عن الجنة وأنهارها وأشجارها وأزهارها وثمارها وعيونها وسلسبيلها وطعامها وشرابها وملائكتها وحورها وولدانها واتساعها وظلها ثم يغفل عن أسباب الوصول إليها وطرائق استجلاب رحمة الله لنكون من أهلها، إنها - أي الجنة - سلعة الله الغالية، وتحتاج بحق إلى التبكير في اليقظة والتعجيل إلى صلا ة الفجر والعصر في المسجد، لن نال هذا الوعد الرباني على لسان حبيبه ونبيه محمد ρ. ولعل ما كتبه ابن القيم في وصف الجنة يهيج النفس لصلاة الفجر، طمعا في نيل الأجر وأن نكون من أهل الجنة التي وصفها بقوله: "فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام وادخر لهم من الفضل والإنعام، وما أخفي لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن، ولا خطر على قلب بشر؛ لعلِم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع ، وعلم أن القوم قد توسطوا ملكا كبيرا لا تعتريه الآفات ولا يلحقه الزوال ، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار ا لكبير المتعال ، فهم في روضات الجنة

يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون ، وعلى الفرش التي بطائنها من إستبرق يتكئون ، وبالحور العين يتنعمون ، وبأنواع الثمار يتفكهون، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، لا يصدعون عنها ولا ينزفون ، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون، جزاء بما كانوا يعلمون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب ، وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون. فواعجبا لها كيف نام طالبها ؟! وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها ؟! وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟! وكيف قر للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها ؟! وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟! وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟! وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟! وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين؟!". [1]

<u>تاسعا</u>: صلاة الفجر مصدر من مصادر النور يوم القيامة، يذكر الدكتور راغب السرجاني في كتيبه المتميز "كيف تحافظ على صلاة الفجر " ص٤٠ (مؤسسة اقرأ، للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٤م) أن فيها خيرا كثيرا وخصائص فريدة، اجتمعت فيها أفكارنا والتحمت فيه همومنا لأننا معا نغرف من مَعين واحد (القرآن والسنة) بفضل الله تعالى، في قول الدكتور السرجاني : "تختفي في يوم القيامة مصادر النور العادية.. فتكور الشمس وتنكدر النجوم ، ويبعث الخلق في ظلمة شديدة .ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها..ويحتاج الناس للنور لكي يدركوا طريقهم، ويسيروا بين الجموع الهائلة..ويكون الجميع في أشد الا حتياج إلى النور عند الجواز على الصراط".

[1] حادي الأرواح: ٥. دار الكتب العلمية.

ولا يسعف الناس في هذه الظلمات الحالكة إلا أنوار صلاة الفجر التي أخبرنا به النبي ρ في الحديث ا لذي رواه الترمذي وأبو داود وابن ماج ه بسند صحيح عن بريدة الأسلمي τ قال : قال رسول الله ρ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » (سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر، ١٣/٢ حديث صحيح). وفي الحديث بشارة فريدة للمشائين أي الذين صارت صلاة الفجر والعشاء في المساجد ثابتا يوميا لا ينقطع إلا لعذر شرعي، فيكون أعظم الجزاء هو النور التام وليس نورا محدودا ناقصا.

عاشرا: نافلة الفجر خير من عرَض الدنيا كله فكيف بالفريضة؟! فإذا كان الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن السيدة عائشة- رضي الله عنها - عن النبيρ، قال: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» (صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، ٥/٦)، يؤكد أن سنة صلاة الصبح خير من الدنيا وما فيها فكيف بالفريضة وهي قطعا أعلى أجرا، وأعظم ثوابا، وأكثر قيمة من النافلة، فكل صاحب عقل وقلب يذهب لصلاة الفجر يصير أغنى أهل الأرض جميعا. فكيف يسوغ للإنسان أن يدع هذا الخير الذي يتجاوز في قدره كل عرَض هذه الدنيا، ثم يجري ويلهث وراء لعاعة من لعاعاتها وقطعة من أعراضها!.

إن العبد إذا رزق البصيرة في دينه ودنياه فإنه سيحب ما أحبه النبي ρ لنفسه ولأمته فتكون ركعتا الفجر في حسه ووجدانه خيرًا من الدنيا وما فيها، يؤكد هذا ما رواه الإمام مسلم بسنده عن عائشة - رضي الله عنها - قالت : أن النبي ρ قال : في شأن الركعتين عند طلوع الفجر: «لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً»(صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب استحباب ركعتي سنة الفجر والحث عليهما، ٥/٦).

ولعلنا هنا نستحضر هذا المثال الحي للصحابي الجليل أنس بن مالك τ الذي كان يبكي بحرقة كلما تذكر ضياع صلاة الفجر مرة واحدة، ولم يكن لاهيًا حتى قبيل الفجر فنام عنها ـ كما يفعل كثير من المسلمين ـ أو يغط في نوم عميق من أول الليل إلى مشرق الشمس، بل كان يقوم بذروة سنام الإسلام وهو الجهاد في موقعة "تُستر" وظل الحصار عاما ونصف حتى تضرعوا إلى الله تعالى في السَحر، واهتدوا إلى اقتحام حصن "تُستر" قبيل أذان الفجر ودارت معركة حامية الوطيس بين ثلاثين ألف مسلم ومائة وخمسين ألف فارسيٍّ، فاستمر القتال حتى أشرقت الشمس . ومع هذا الجهاد العظيم والنصر المبين الذي تحقق على يد هذا القائد أنس بن مالك τ فإنه - كقائد رباني - كان يبكي لضياع صلاة الفجر ويقول: "وما تُستر؟! لقد ضاعت مني صلاة الفجر، ما وددت أن لي الدنيا جميعا بهذه الصلاة" (كتيب "كيف تحافظ على صلاة الفجر"، د. راغب السرجاني، ص ٤٦).

أقول بحق لمثل هذا فليعمل العاملون وليكن القادة الربانيون والجنود المخلصون.

الحادي عشر: سنة الفجر تؤكد مع مطلع كل نهار صفاء وتميز عقيدة التوحيد، فليس عاديا أن يكون من الهدي النبوي أن نقرأ في سنة الفجر كل يوم ما كان يقرأه النبي ρ في الحديث الذي رواه مسلم بسنده عن أبي ه ريرة τ أن رسول الله ρ كان يقرأ في الركعة الأولى بسورة: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} وفي الركعة الثانية بسورة: { قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} (المسند الصحيح ، ص: ٧٢٦).

إلا ليصحو الإنسان كل يوم متشبعا بالتوحيد الخالص، متحديا كفار الأرض جميعا لأنه لن يعبد ما يعبدون ولن يخوض مع الخائضين ولن يقلد مع التافهين، وإنما سيبقى ي علن في عزة وإباء وتميز ومضاء .. { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } [الكافرون : ٦]. إن هذه تربية عميقة الجذور، طويلة الفروع، كثيرة الثمار، تنتج مؤمنا قويا راسخا يتحدى جميع الكفار، مع بزوغ فجر كل نهار

الثاني عشر: جمع الدكتور السرجاني لطائف فقهية وتربوية خاصة عن صلاة الفجر؛ أهمها ما يلي:

١. صلاة الفجر والعصر أول الصلوات افتراضا على المسلمين.

٢. في أذان الفجر زيادة وهي "الصلاة خير من النوم" مرتين.

٣. هناك أذكار خاصة بعد صلاة الفجر:

✓ ما رواه الترمذي بسنده عن أبي ذر τ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ρ قالَ: «مَنْ قالَ في دُبُرِ صَلاَةِ الفَجْرِ وَهُوَ في رِجْلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ : لاَ إله إلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. عَشْرَ مَرَّاتٍ كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِيَ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ وكانَ يَوْمَهُ ذَلِكَ كُلَّهُ في حِرْزٍ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ وَحُرِسَ مِنَ الشَّيْطَانِ وَلَمْ يَنْبَغِ لِذَنْبٍ أَنْ يُدْرِكَهُ في ذَلِكَ اليَوْمِ إلاّ الشِّرْكَ باللهِ» (سنن الترمذي، كتاب الدعوات عن رسول الله ρ، ٤٣٥/٩، وقال حسن غريب صحيح).

✓ كذلك أورد أبو داود بسنده عن مسلم بن الحارث التميمي τ قال: قال لي النبي ρ : " عن رسول الله ρ أَنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهِ فقَالَ إِذَا انْصَرَفْتَ مِنْ صَلاَةِ المَغْرِبِ فَقُلْ اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذ ٰلِكَ ثُم مِتَّ في لَيْلَتِكَ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا، وَإِذَا صَلَّيْتَ

الصُّبْحَ فَقُلْ كَذلِكَ فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي يَوْمِكَ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا أخبرني أَبُو سَعِيدٍ عن الْحَارِثِ أَنَّهُ قالَ أَسَرَّهَا إِلَيْنَا رَسُولُ الله ρ. نَحْنُ بها نَخُصُّ إِخْوَانَنَا». (سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب مايقول إذا أصبح، ٤٢٢/١٣، حديث حسن).

٤. كان ρ يطيل في صلاة الفجر ما لا يطيل في غيرها من ستين إلى مائة آية.

روى البخاري بسنده عن أبي τ هريرة قال: «كان النبيُّ ρ وسلم يَقرأُ في الجُمعةِ في صلاةِ الفجرِ {الم تَنْزِيلُ } و {هَلْ أَتَى } » (صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة، ٣٣/٣)، فقد كان النبي ρ يقرأ في فجر يوم الجمعة سورة السجدة في الركعة الأولى وسورة الإنسان في الركعة الثانية.

٥. لا يوجد جمع ولا قصر في صلاة الفجر دون بقية الصلوات.

٦. صلاة الفجر تجعل الإنسان في حماية الله تعالى وحفظه وضمانه وعهده، روى مسلم بسنده عن جندب بن سفيان τ أن رسول الله ρ قال: «مَنْ صَلَّى صَلاَةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ الله. فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمُ الله مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ . ثُمَّ يَكُبَّهُ عَلَى وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». (صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، ١٣٠/٥).

٧. صلاة الفجر كفارة لنصف العمر، حيث تكفر ما بين الذنوب ما بين الفجر والعشاء وهو يقارب نصف اليوم وذلك استنادا إلى الحديث الذي رواه الإمام مسلم بسنده عن عثمان بن عفان τ من أنه قال: سمعت رسول الله ρ يقول: «مَا مِنِ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ

صَلاَةٌ مَكْتُوبَةٌ. فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا . إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ . مَا لَمْ تُؤْتَ كَبِيرَةٌ . وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ»(صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، ٩١/٣).

٨. أن البركة في الأرزاق مع صلاة الفجر لما رواه ابن حبان وأبو داود وأحمد وابن ماج ه بسندهم عن صخر الغامدي قال : قال رسول الله ρ:«اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا »(صحيح ابن حبان، باب الخروج وكيفية الجهاد، ذكر ما يستحب للمرء أن يكون إ نشاؤه، ٨٨/٥، حديث صحيح).

وهذه البركة في الوقت والما ل والمذاكرة فمن استغلق عليه شيء من ذلك فليفزع إلى صلاة الفجر ولينظر : كم سيتلقى من البركات والرحمات!.

٩. من أراد أن يكتب له ثواب عمرة وحجة كل يوم فأمامه الفر يضة العظيمة للحديث الذي أورده الجلال السيوطي عن رسول الله ρ أنه قال: «مَنْ صَلَّى الْفَجْرَ فِي جَمَاعَ ةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللَّهَ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَ يْنِ كَانَتْ لَهُ كَأَجْرِ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ» (جامع المسانيد والمراسيل ، حرف الميم، ٥٣/٧، حديث صحيح).

المنهجية الثانية: منهجية استثمار المنح الربانية {وَلَيَالٍ عَشْرٍ}.

أقسم الله بالليالي العشر مما دل على شرفها، أما عن معنى الليالي العشر فقد أورد الطبري والقرطبي وابن عطية في معناها الأقوال التالية:

١. هي الليالي العشر الأول من ذي الحجة وأسند هذا إلى تفسير ابن عباس وعبد الله بن الزبير ومسروق وعكرمة ومج اهد وقتادة والضحاك، للحديث الذي رواه البخاري بسنده عن ابن عباس τ عن النبي ρ أنه قال: "مَا الْعَمَلُ فِي أَيَّامٍ العشرِ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ ". قَالُوا وَلاَ الْجِهَادُ قَالَ " وَلاَ الْجِهَادُ، إِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَىْءٍ ". (صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب فَضْلِ الْعَمَلِ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، رقم ٧٧٩).

٢. أنها العشر الأواخر من رمضان لما ورد من أحاديث عديدة عن التماس ليلة القدر من الوتر الأواخر من ليالي رمضان روى البخاري بسنده عن أبي سعيدٍ τ أنه قال : «اعتكفْنا معَ النبيِّ ρ العَشْرَ الأوسطَ من رمضانَ، فخَرجَ صَبيحةَ عِشرينَ فَخَطَبنا وقال : إني أُرِيتُ ليلةَ القَدْرِ ثمَّ أُنسيتُها . أو نَسيتُها . فالتَمِسوها في العَشْرِ الأواخِرِ في الوتر، وإني رَأيتُ أني أسجُدُ في ماءٍ وطين ، فمَن كانَ اعتكَفَ مَعي فليرجع . فرَجَعْنا، وما نَرَى في السماءِ قَزعة، فجاءتْ سَحابَةٌ فمَطَرَتْ حتى سالَ سَقفُ المسجدِ، وكانَ من جَرِيدِ النَّخل، وأُقِيمَتِ الصلاةُ، فرأَيتُ رسول الله ρ يَسْجُدُ في الماءِ والطِين، حتى رأيتُ أثَرَ الطينِ في جَبْهته »(صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، ٧٨٦/٤).

٣. ذكر القرطبي أن أحد أقوال ابن عباس والطبري أن الليالي العشر هي العشر الأول من المحرم وآخرها يوم عاشوراء، ولا يوجد دليل على صحة هذا القول.

إذا أقوى الآراء في معنى {وَلَيَالٍ عَشْرٍ} [الفجر : ٢] هي العشر الأول من ذي الحجة أو العشر الأواخر من رمضان.

وأريد - بحق - أن نصدق الله تعالى بعد تدبر المثال التالي: لو فوجئ الناس بإعلانات مكثفة في كل وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة أن هناك فرصا غير محدودة للعمل عشر ليال فقط، أما الراتب فهو في قمة الإغراء، حيث تحتاج إلى تقديم ورقة بآخر راتب حصلت عليه أو يقدر لك راتب يساوي قدراتك وإمكاناتك وتحصل في مقابل عمل عشر ليال على راتب ألف شهر، بمعنى أنك لو كنت تحصل على ألف دينار شهريا فراتبك سيكون مليون دينار في عشر ليال فقط، وإذا كنت تحصل على خمسة آلاف دينار، فراتبك سيكون خمسة ملايين دينار في عشر ليال فقط، وإذا كنت من رجال الأعمال ودخلك كل يوم مليون فستحصل على مليار في هذه العشر، والعمل من بيتك أو من بلدك دون تكلف السفر الطويل ولا يحتاج هذا العمل إلى شهادات خبرة ولا وساطة بل توجد فرصة لكل متقدم.

ترى هل سيتخلف رئيس أو مرؤوس كبير أو صغير عن التقديم لهذا العمل؟! هل سيتخلف مستثمر مهما كان دخله؟! هل سيتخلف عاطل يمضغ آلام البطالة دون أن يهرع لهذه الفرصة الثمينة؟! هل سيذهب الأب تاركا زوجته وأولاده دون أن يحثهم على هذا العمل حتى نطلق الفقر والمسكنة ثلاثا؟!. نعم والله لن يتخلف أحد، لأنه عرَض الدنيا الذي نراه رأي العين، نمسكه بأيدينا، نراه بأعيننا،

نحسه بجوارحنا، أما إذا دعانا الله سبحانه أو رسوله ρ إلى استثمار عشر ليال في فعل الخير ، وأعمال البر ، وركعات السحر ، وصلاة الفجر، وشهود الجماعات، وكثرة الأذكار في الخ لوات والج ولات في الليل والنهار ، في السر والعلن ، وكثرة الإنفاق في العسر واليسر ، والسراء والضراء، في السعة والضيق، ويكون لنا أجر، قال الله تعالى فيه : {لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ } [القدر : ٣] ، وروى البخاري بسنده عن أبي سعيد الخدري τ عن الحبيب ρ : «إِني أُرِيتُ ليلةَ القَدْرِ ثمَّ أُنسيتُها ـ أو نَسيتُها ـ فالتَمِسوها في العَشْرِ الأواخِرِ في الوتر »(صحيح البخاري، كتاب فضل ليلة القدر، باب التماس ليلة القدر في السبع الأواخر، ٧٨٦/٤)، وأورد المنذري أن أنس بن مالك τ قال : قال ρ: «إِنَّ هذَا الشَّهْ رَ قَدْ حَضَرَكُمْ، وَفِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ مَنْ حُرِمَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ كُلَّهُ، وَلاَ يُحْرَمُ خَيْرَهَا إِلاَّ مَحْرُومٌ»(الترغيب والترهيب، كتاب الصوم، الترغيب في صيام رمضان احتساباً وقيام ليله ..، ٦٠/٢: حديث حسن)، أما الليالي العشر الأولى من ذي الحجة فلحديث ابن عباس τ السابق ذكره. فالعمل في هذه الليالي أعلى مرتبة من ذروة سنام الإسلام وهو الجهاد في سبيل الله فهل نؤمن بالغيب ـ وهو وعد الله تعالى ـ بأن ثواب هذه الليالي خير مما طلعت عليه الشمس ؟، بل إن رك ع تي الفجر كل يوم خير م ن الدنيا وما فيها ، إن عبدا أو أمة وفقهما الله تعالى إلى لزوم هذه الطاعات وذاب في حب الله تعالى لجدير أن يوقن أنه أغنى أهل الأرض جميعا، وأعز الخلق بركونه إلى ربه تعالى، واعتماده عليه والمسكنة بين يديه؛ ليخرج إلى الدنيا غنيا أبيا فتيا لايخشى في الله لومة لائم .

إنني أدعو نفسي وإخواني وأخواتي أن يعظما الإيمان بالغيب ، فإذا جاءنا الوعد أو الوعيد من الله تعالى أو رسوله ρ على فعل خير أو شر فيجب أن ينزل منا منزلة اليقين وأن نغيِّر أهواءنا وظروفنا وأعرافنا وجداولنا لتدخل في بوتقة الامتثال الكامل للأمر الرباني والهدي النبوي، وأن يطرد الإنسان من عقله ووجدانه أية وساوس ترجح المعيار الأرضي على السماوي، ليكون الإنفاق ليس نقصانا من المال، وإنما هو بركة ونماء وزيادة، والشهادة ليست موتاً ، وإنما هي حياة في أعلى الجنات، والجهد في الدعوة ليست خطرا لا تحمد عقباه، بل القعود عنه هو الفتنة كما قال تعالى : { وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُواْ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ }[التوبة : ٤٩].

وأختم هذه الفقرة بما أورده الهيثمي بسنده عن أنس بن مالك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "افعلوا الخير دهركم، وتعرضوا لنفحات رحمة الله؛ فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده؛ وسلوا الله أن يستر عوراتكم وأن يؤمن روعاتكم" (مجمع الزوائد للهيثمي، رقم: ١٠/٢٣٤،إسناده رجاله رجال الصحيح غير عيسى بن موسى بن إياس بن البكير وهو ثقة).

وليكن من ثوابتنا أن أعظم استثمار لحياتنا هو التعرض لرحمات الله واستغلال الفرص في التقرب إلى الله.

المنهجية الثالثة: وحدانية الخالق وزوجية المخلوقات {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}.

إذا أقسم الله تعالى بالشفع والوتر لابد بأن يكون لهذا القسم تقدير وتفسير وتطبيق في حياة من يريد أن يتخذ القرآن هداية لا ثقافة، عقيدة لا فكرا، سلوكا لا تنظيرا.

أما التقدير فلأن الله لا يقسم إلا بشيء جلل، لا يصلح نظام الكون إلا به، وأما تفسير معنى {وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}[الفجر : ٣] الذين أقسم الله تعالى بهما، فقد جاء في تفسير الطبري والقرطبي وابن عطية وسيد قطب أن هناك أقوالا عديدة في تفسير الشفع والوتر، منها ما يلي:

١. الشفع صلاة الصبح والوتر صلاة المغرب، وقيل الشفع السنن الراتبة والوتر هي ركعة الوتر، وقيل الشفع هو تنفل الليل مثنى مثنى والوتر هو الركعة الأخيرة.

٢. الشفع يوم النحر، والوتر يوم عرفة.

٣. الشفع آدم وحواء، والوتر هو الله تعالى.

٤. الشفع هو العالم، والوتر هو الله؛ إذا هو الواحد محضًا وسواه ليس كذلك.

٥. الشفع تضاد صفات المخلوقين، والوتر انفراد صفات الله تعالى، فمن تضاد صفات المخلوقين الكفر والإيمان، الشقاوة والسعادة، والهدى والضلال، والنور والظلمة، والليل والنهار، والحر والبرد، والشمس والقمر، والصيف والشتاء، والسماء والأرض، والجن والإنس.

٦. الشفع أبواب ودرجات الجنة، والوتر أبواب ودركات النار.

٧. الشفع الصفا والمروة، والوتر الكعبة.

٨. الشفع مسجد مكة والمدينة، والوتر بيت المقدس.

٩. الشفع القِران بين الحج والعمرة، أو التمتع بالعمرة إلى الحج، والوتر الإفراد.

١٠. الشفع الذكر والأنثى، والوتر الجماد.

١١. العدد إما شفع أو وتر (٢، ٤، ٦) أو وتر (٣، ٥، ٧).

١٢. الشفع الأيام والليالي، والوتر يوم القيامة لأنه لا ليل بعده.

ولعل أرجح الأقوال عندي ه و أن الشفع يتعلق بزوجية المخلوقات جسمًا ومعنًا، والوتر هو الله الواحد الأحد الفرد الصمد، وإذا كانت السنة النبوية قد فسرت الوتر بأنه الله فهو الأولى بالقبول، حيث روى مسلم بسنده عن أبي هريرة τ عَنِ النَّبِيِّ ρ قَالَ: «إِنَّ للّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْماً ـ مِائَةً إِلاَّ وَاحِداً ـ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ ». وَزَادَ هَمَّامٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ τ، عَنِ النَّبِيِّ ρ«إِنَّهُ وِتْرٌ . يُحِبُّ الْوِتْرَ ». (صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ٥/١٧).

أما التطبيق فيمكن أن يلخص في النقاط التالية:

١. اليقين بوحدانية الخالق هذا يلزمنا بدعوة اليهود والنصارى والمشركين الذين جعلوا مع الله إلها آخر، أو أنزلوا بعض الرسل أو الأشخاص أو الأشياء منزلة الله الواحد الأحد لأن الله تعالى لم يأمرنا أن نؤمن فقط بو حدانيته بل أمرنا أن نقول ذلك للعالم، قال تعالى : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ } [الإخلاص : ١] ، وقال تعالى : {قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَـهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ }[الأنعام : ١٩].

٢. اعتقاد أن الكون كله مبني على زوجية المخلوقات جميعا، سواء في النبات أو الحيوا ن أو الإنسان أو الأشياء كلها، أما الزوجية في النبات فلقوله تعالى: { وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ }[الرعد : ٣] ، وأما في الحيوان فلقوله تعالى : { ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّؤُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ } [الأنعام : ١٤٣] ، وأما في الإنسان فلقوله تعالى : { يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثاً وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ } [الشورى : ٤٩] ، وأما الزوجية في كل شيء فلقوله تعالى : { وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ } [الذاريات : ٤٩].

وهذا يرسخ لدى المؤمنين عقيدة وحدانية الخالق وزوجية المخلوقات، أما إذا أردنا أن نؤسس بالأدلة العقلية صحة الأدلة النقلية ع لى زوجية المخلوقات، فمن الأمثلة القطعية على ذلك ما يلي:

(أ) لا يمكن أن نحصل على الكهرباء إلا بالتماس بين السالب والموجب، فإن عزلت أحد اهما عن الآخر، أو وصلت سالبا بسالب أو موجبا بموجب لن تنبعث الكهرباء بل ربما يُحدث تفجيراً أو أضراراً بالغة، تماما كما يتوقع من إشاعة الجنس المثلي أو الشذوذ الجنسي.

(ب) لا يمكن أن تتجاذب المواد المغناطيسية الموجبة إلا إلى جسم آخر يحمل شحنة سالبة، فإذا وضعت الموجب مع الموجب أو السالب مع السالب فيحدث التنافر بينهما.

(ج) إذا كانت الذرة هي اللبنة الأولى في مكونات أي شيء في هذه الحياة فإنها قد خلقت من ثلاثة أجزاء متكاملة لا يصلح أحدها دون الآخر : البروتون ويكون دائما مشحونا بشحنة موجبة، والإلكترون ويكون دائما مشحونا بشحنة سالبة ، والنيترون ويكون دائما مشحونبشحنة متعادلة.

(د) في عالم النبات تعرف الذكورة والأنوثة في الأشجار والنباتات والفطريات والبكتيريا بحيث لا يمكن أن تستمر الحياة بدون نبات، ولا نبات بغير الزوجين الذكر والأنثى[٢]، إذا كان هذا هو ناموس الكون ونظام الحياة الذي عبر عنه القرآن : { وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى } [النجم : ٤٥] ، وقوله تعالى : { سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ} [يس : ٣٦]. وعليه يجب التسليم بالتساوي في المقام والتكامل في المهام بين الزوجين، وعدم إباحة الشذوذ الجنسي، أو استغناء جنس عن آخر؛ فهذا ـ قطعاً ـ عكس الناموس الرباني.

٣. لا يستغني المخلوق عن خالقه حيث يمنحه الخالق أصل الوجود وقوانين البقاء والحياة والموت ، حتى الإنسان وهو الوحيد الذي يملك إرادة كاملة فإنه يدخل إلى الحياة ويخرج منها بغير إرادته ولا يستطيع أن يتحكم في دقات قلبه ولا سريان دمه في جسمه ولا في درجات سمعه وبصره ولا في حركة نموه من الضعف إلى القوة ثم إلى الضعف، ولذا يجب أن يدور الإنسان في فلك التسبيح والسجود لرب هذا الوجود، لقوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ

---

[٢] مقالة آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات للأستاذ الدكتور نظمي خليل أبو العطا على موقعه ، http://spanishsord.multiply.com/journal/item/52 ، ومقالته تسع معان للزوجية في القرآن الكريم وعالم النبات، (http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=1753&select_page=23)

وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِ ن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ} [الحج : ١٨] ، فحري بالإنسان أن يلتحم مع الأكوان في السجود والعبادة للرحمن، وإلا كا ن مصيره الشقاء والعذاب والذل والهوان، هذا مع اليقين أن رب العالمين مستغن بحوله وطوله وذاته وصفاته عن كل مخلوقاته وهو الصمد الذي يحتاج الخلق جميعا إليه ولا يحتاج إلى شيء ولا إلى أحد من خلقه، قال تعالى : {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ % إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ % وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ }[فاطر : ١٥ : ١٧].

٤. أن المخلوقات لا يستغني بعضهم عن بعض فأعظم الملوك لا يستغني عن الجنود والأعوان، وهل يستغني الإنسان عن شمس وقمر؟! وشج ر وثمر؟! وبحر ونهر؟! من هذا الذي يستغني عن الماء والهواء؟! أو الدواء والغذاء؟ ! أو يستغني عن الليل ليسكن فيه، وعن النهار ليكسب فيه؟!، ومن هذا الذي يستغني في الدنيا عن أمه وأبيه ، وزوجه وبنيه ، وأخته وأخيه؟ ! ومن هذا الذي يستغني عن حب الناس له ، وإحساسهم به ، وإشفاقهم عليه والتفافهم حوله في الأفراح والأتراح والعسر واليسر ؟!، وهل يستغني العروسان مهما فاض حبهما ، وطال شوقهما ، عن حضور الأهل والجيران والأصحاب والخلان ، ويرى الفرحة حوله تغمر الزمان والمكان؟!. إننا ـ بحق ـ يصدق فينا قول الشاعر:

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم

ولهذا جاءت نصوص القرآن تصنع الحب والسلام، والبر والوئام بين الإنسان وأخيه الإنسان، أو بينه وبين كل ذرة من خلق الرحمن.

فلو صدق الإنسان مهما رتع في النعم لأيقن بحاجته إلى غيره وإلى الكون من حوله، فلا يستغني ذكر عن أنثى ، ولا أنثى عن ذكر، ولا يستغني غني عن فقير ، ولا فقير عن غني، ولا يستغني عالم عن متعلم ، أو متعلم عن عالم، ولا يستغني حاكم عن شعبه ، ولا شعب عن حاكم يسوسهم بالعدل ويحوطهم بالفضل، ويوجههم فيما يُصلح معاشهم ومعادهم.

المنهجية الرابعة: ليل العابدين لا العابثين { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ }

يسري الليل بأمر الله ، لا يستطيع أحد أن يوقفه، يقول الله تعالى : { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ }[الفجر : ٤]، وتعني أن الليل يتحرك بأمر الله لا يستطيع أحد أن يوقفه، لكنه يستطيع أن يتصرف بال ليل عابدً ا أو عابثا، وإذا راجعنا آيات القرآن ال كريم باحثين عن كلمة { وَاللَّيْلِ } فسيستقر في عرف وعقيدة المؤمنين عن الليل الكثير من المعاني الإيمانية والعملية، أن الله بيده وحده اختلاف الليل والنهار، ويولج الليل في النهار، ويغشي الليل النهار، ويقلب الليل والنهار، ويسلخ النهار من الليل، وينظم ربنا حرك تهما فلا يسبق الليل النهار، ويحدد سبحانه وقتا لليل إذا سجى أو عسعس أو أدبر أو سرى، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

١. أن الليل أحد الأدلة على وحدانية الخالق سبحانه وتعالى، حيث يقول عز وجل:

- {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ} [آل عمران : ١٩٠].
- {يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ } [الزمر : ٥] .
- { يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ}[الحج : ٦١] .

- { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ }[الإسراء : ١٢] .

٢. أن الليل هو ميدان السباق إلى الله لدى الأبرار المتقين المتجردين المخلصين الذين يريدون إخفاء الحسنات في طيات ظلم الليل فترقى إلى رب الأرض والسماوات تحمل نور الإيمان وصدق التجرد له سبحانه، ومن أنواع البر السامية التي يتسابق بها المؤمنون بالليل ما جاء في قوله تعالى:

- {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ويرجو رحمة ربه } [الزمر : ٩] .

- { وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً } [الإسراء : ٧٩].

- { وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ } [ق : ٤٠].

- { وَمِنْ آنَاء اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى } [طه : ١٣٠].

- { وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً } [الإنسان : ٢٦]

- { الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ } [البقرة : ٢٧٤].

- { يَتْلُونَ آيَاتِ اللّهِ آنَاء اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ } [آل عمران : ١١٣].

- { وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ } [هود : ١١٤].

٣. الليل سكن وهدوء ونوم وراحة لعباد الله المؤمنين، قال تعالى:

- { وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَناً } [الأنعام : ٩٦] .

- { وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ }[الروم : ٢٣] .

- { قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ }

[القصص : ٧٢].

٤. الليل هو ميدان متعة الأزواج المتقين من الحلال الطيب، لقول تعالى :

- { أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ }[البقرة : ١٨٧] .

- { وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاساً } [النبأ : ١٠].

وصدق محمد إقبال إذا يصف هؤلاء المتقين أحباب الليل:

يا رجال الليل جدوا	رب صوت لا يرد
لا يقوم الليل إلا	من له عزم وجد

ليل العابدين قنوت وتهجد وتسبيح وسجود وتلاوة للقرآن وإنفاق للأموال، أو نوم وسكن وراحة وسكن ومتعة بالحلال، أما ليل العابثين فهو ليل المكر لدين الله Y، قال تعالى:{ بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ}[سبأ : ٣٣]، ليل العابثين غفلة عن صلاة العشاء

والفجر وسهر أمام التلفاز والأفلام ومع الإنترنت بحثا عن كل هابط يدني الإنسان تحت مرتبة الحيوانية، ليل العابثين سهرات حمراء وخمور وفجور وكؤوس ومعازف وأغان ونفوس تفيض بالشهوات الهابط ة والنزوات الفاسدة، ليل العابثين يقتاتون من لحوم الناس وأعراضهم بالسخرية والنميمة والغيبة، والكذب والبهتان، قال تعالى : { كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً } [الإسراء : ٨٤] ، ولعلي في هذا الجدول ألخص الفرق بين ليل العابدين وليل العابثين:

ليل العابدين	ليل العابثين
صلاة المغرب والعشاء والفجر	{الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ} [الماعون : ٥]
قيام الليل	سهرات حمراء
سجدات وقنوت واستغفار بالأسحار وتناول السحور رجاء بركته	لقاءات بين الشباب والفتيات وضحكات ومداعبات وإسراف في المطعومات والمشروبات والتدخين
صدقة السر	التجول في الأسواق وفتنة بالمشتريات
سهر لطلب العلم والكد في طلبه	سهر أمام الأفلام الهابطة والصور الفاضحة
تغنٍّ بالقرآن (منعته النوم بالليل)	تغنٍّي بالفسوق والعدوان وإثارة الشهوات وإقامة الحفلات والرقصات وانتشار المائلات المميلات والحِ ر

	والحرير والخمور والمعازف والطرب والتفلهات
الندوات والمحاضرات	مجالس الأنس والسخرية والغيبة والنميمة واللغو والرفث
تخطيط لفعل الخير ونفع الغير وقضاء حوائج الناس.	مكر الليل والنهار بتحالف الكفار والفجار لفتنة ذوي الهدى من الأبرار
محاسبة للنفس قبل النوم	{ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ % يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ٥ : ٦]
نوم على طهارة وذكر	نوم على نجاسة وجنابة وغفلة
يذكِّر النوم في الليل بالموت والاستيقاظ بالبعث والنشور	يستلقي على طول الأمل ليستعد ليوم جديد من العمل
سهر لإصلاح ذات البين والتقريب بين الزوجين والأرحام والجيران والشركاء والجماعات والدول	سهر لإفساد ذات البين وإفساد العلاقات بين الأزواج والأرحام والأقارب والجماعات والدول

سهر الأم لإرضاع ولدها ورعاية أبنائها، وسهر الأطباء والممرضات لرعاية مرضاهم	سهر الأم أمام الأفلام والإنترنت والمكالمات التليفونية وترك الأولاد للخادمات أو الفساد أو الألعاب والشاشات
أفراحهم لقاءات على القرآن والسنة وأناشيد راقية ولا يوجد اختلاط بين الرجال والنساء	أفراحهم تعج بالسافرات والرقصات والأغاني والإسراف في الطعام والشراب واختلاط بالرجال والنساء
سهر رباط المجاهدين ورجال الجيش والشرطة لحماية الثغور وحفظ الأمن	انطلاق الخونة واللصوص وتجار المخدرات والمدمنين والمفسدين يروعون الآمنين ويشيعون الذعر والهلع
يتابعون هموم الأمة في غزة والقدس وفلسطين والعراق وأفغانستان وكشمير والشيشان والصومال والسودان بل كل بلاد الإسلام	سهرات لمتابعة المباريات والموديلات والمسابقات المتعلقة بالفنانين والفنانات

المنهجية الخامسة: "ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول" {لِّذِي حِجْرٍ}

يبدو لي أن هذه المنهجية التي أطلقها أح د علمائنا ودعاتنا الأخيار تستند إلى هذا الأصل الرباني في هذه الكلمة التي نمر عليها مرور الكرام: {هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ} [الفجر : ٥]، فالله تعالى بعد القسم بالفجر: { وَالْفَجْرِ % وَلَيَالٍ عَشْرٍ % وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ % وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ } [الفجر : ١: ٤].

يأتي هذا الاستفهام - كما ذكر القرطبي والطبري - توكيداً لمعنى: "إن في هذا القسم مكتفى لذي عقل"، وقد عبوَّت الآية عن العقل بأنه الحِجر، حيث يقال للرجل إذا كان مالكًنفسهَ، قاهرًا لها: إنه لذو حجر (تفسير الطبري :٢٤/ ٤٠٢)، وقال القرطبي (٤٣/٢٠): "وأصل الحِجر المنع، يقال لمن ملك نفسه ومنعها إنه لذو حِجر، ومنها سمي الحَجر لامتناعه وصلابته، ومنها حجر الحاكم على فلان أي منعه وضبطه عن التصرف، وسميت الحجرة حجرةً لامتناع ما فيها بها، وقال الفراء: "العرب تقول إنه لذو حِجر إذا كان قاهرا لنفسه ضاب طا لها" وأورد قول الشاعر:

وكيـــــف يُـــرجَّى أن تتوب وإنما ... يُرجَّى من الفتيان من كان ذا حِجر

(أي كان ذا عقل ولب).

والمعنى التربوي الجلي من هذه الآية أن الله تعالى يخاطب أهل القرآن أن يكون عقله المفعم والمتشبع بنصوص القرآن والسنة كمعايير عليا، ونماذج مثلى، ليكون دور العقل هو أن يلزم الهوى والشهوات والنزوات التي لا يخلو منها إنسان، يلزمها لجام التقوى، ويحجر على هواه

أن ينفلت في نقطة ضعف يجب أن يصدق كل منا ربه فيها، فمنا من لا يضعف أمام بريق المال ولكن تغريه السلطة والشهرة، ومنا من لا تغريه السلطة ولا الشهرة ولكن ينطوي على هوى من الانفلات عند الغضب دون رادع أو وازع يلجم نزوة الغضب، ومنا من تغلبه شهوة الجنس فتطفو على جميع الرغبات وتعلو على كل الأولويات ويتجاوز بها كل الحدود والحرمات، ومنا من يزحف وراء كل درهم ودينار ويلعق الأقدام ليحظى ولو بقليل من المال، ومنا من لا يمسك طرف لسانه ولا يحجب أسرار غيره ولا يترفع عن الغيبة والنميمة والكذب والبهتان، ومنا من يحجر على كل هذه الشهوات لكن شهوة بطنه تغلب عقله فلا يكاد يرى طعاما إلا ويسيل لعابه وتطيش يده ويمتلئ فمه وتنتفخ فمه، ومنا من تغلبه شهوة التجمل والمود يلات الجديدة والتزين بالملابس الفريدة والفتنة بعمليات التجميل : {وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ }[النساء : ١١٩]، ومن هذا الباب صار عالم القرن ٢١/٢٠ تروج فيه أكبر وأخس أنواع التجارات وهي الجنس والسلاح والمخدرات، فلا حجر ولا عقل على شهوات الدو ل الكبرى أن تلتهم في غمضة عين الدول الصغرى، ولا حجر – إلا من رحم الله – على حاكم أن يحول شعبه بين فقير أو كسير أو ذليل، ولا حجر ولا عقل لنزوات الشباب في الفتنة بالإنترنت والفضائيات والهواتف والرسائل النصية والإلكترونية والتجول بين المطاعم والأسواق ودور السينما والقهاوي والنوادي والتسكع في الطرقات وإن قعد به ذلك عن الدراسة والعبادة والتزام المروءات الاجتماعية، إن الحِ جر هنا هو العقل الذي يحجب الإنسان عن هذه السفاسف ويحمله على المكارم ليكون بحق كما أورد الجلال السيوطي أن النبي ρ قال: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ» (جامع المسانيد والمراسيل، الإكمال من الجامع الكبير، ٣٥٥/٨، وقال حسن غريب)، إن هذه الآية رغم قصرها لكن دقتها تعني الكثير مما يوجب أن نستحضر دواعين متلازمين غير

منفصلين لكل نفس تريد أن تسعد نفسها ومن حولها في الدنيا والآخرة، الدواء الأول هو العلم الذي يزيل الشبهات، والدواء الثاني هو المجاهدة التي تعالج الشهوات ولقد كتبت في هذا عددا من الكتب والمقالات (راجع www.salahsoltan.com) أحيل عليها خشية التكرار، وأهمها:

أولا: أهم الكتب:

١. الوسائل العملية الخمسة لإصلاح قسوة القلوب.
٢. الصراع مع الشيطان.
٣. الصيام لجام الشهوات الأربع.
٤. ثوابت الإيمان بعد رمضان.

ثانيا: أهم المقالات:

٥. لا تكوني شكلا بلا مضمون.
٦. الحق والخلق والنفس.
٧. مفارقات بين صيف العابدين والعابثين.
٨. مفارقات بين عزة الأتراك وذلة العرب.

٩. مفارقات بين هموم أُمَّة وهموم أَمَة.

١٠. مفارقات بين المعية والتبعية.

والرابط الذي أراه هنا في هذه السورة بين الفجر وقصص الطاغين والمفسدين والظالمين أن الميدان الأول الذي يجب أن ينجح فيه الإنسان هو أن يقاوم هواه في النوم ليقوم لصلاة الفجر ويحيا الأيام والليالي العشر ويجعل ليله ليل العابدين لا العابثين ثم يتهيأ لدوره ـ حسب قدراته الداخلية وإمكاناته الخارجية المتاحة ـ ليكون أحد معاول إنهاء الظلم ومواجهة الطغيان والقضاء على الفساد في الأرض. هذه تحتاج بحق إلى عقل مفعم بالإيمان بالغيب يجعله يحتمل الصعاب ويستعذب كل مصاب في سبيل أن يبقى على الحق والصواب حتى يلقى ربه الوهاب فيمنحه الرضا والجنة مع الرسل والأصحاب.

المنهجية السادسة

الطغيان والفساد سببان للهلاك في الدنيا والآخرة

عند تدبري المقطع الثاني في سورة الفجر في الحديث عن عاد وثمود وفرعون بدا لي أنها يمكن أن تنقسم أربعة أقسام على سرعتها وقصرها

القسم الأول: ذكر وتحديد عدد من الأمم السابقة لتحقيق الرؤية اليقينية القلبية العقدية، وذلك في قوله تعالى : { أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⊥ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⊥ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⊥ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⊥ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ } [الفجر : ٦ : ١٠].

القسم الثاني: ذكر صفاتهم الجامعة مع تباعد أزمانهم وهي الطغيان والفساد في قوله تعالى: { الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ⊥ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ }[الفجر : ١١ : ١٢] وكلمة { الَّذِينَ } تؤكد بقوة أن الطغيان والفساد ليس معطوفا على فرعون فقط بل على عاد وثمود وإلا لجاء اللفظ "بالذي" عطفًا على فرعون.

القسم الثالث: الجزاء والعقاب الرباني: { فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ } .

القسم الرابع: أن هناك قانونا ربانيا لا يقتصر على عاد وثمود وفرعون، وهو أن من تحققت فيه صفات الطغيان والفساد فإن سوط العذاب سيناله، لأن هذا ليس قصصًا للماضي، وإنما يستعاد ويستحضر إذا وجدت أسبابه، لقوله تعالى : { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ }، وفي سور القرآن

خاصة التي تهتم بالقصص ما يؤكد أن هناك قانونا ربانيا لكل الأمم في أي زمان أو مكان، وليس خاصا بالأمم السابقة، يؤكد أن الطغيان والفساد والظلم أسباب قطعية تؤذِن بخراب البلاد وضياع العباد، وفيما يلي أسوق غيضا من فيض الآيات القرآنية الدالة على ذلك:

١. في آخر سورة غافر ومافيها من هلاك الفرعون وقومه جاءت الآية {سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ } [غافر : ٨٥] .

٢. عقَّب الله في آخر سورة هود على مصارع الظالمين بهذا القانون الرباني: { وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ } [هود : ١١٧] .

٣. في تضاعيف سورة الحج يسوق الله هذا القانون الربانى الأبدي في قوله I: { فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ} [الحج : ٤٥] .

٤. ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أن لكل أمة موعداً لهلاكها إذا ظلمت وتجبرت في قانون لا يتخلف عن أية قرية، وذلك في قوله I: { وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِداً }[الكهف : ٥٩] .

٥. وفي آخر سورة الذاريات بيان شاف أن ما لحق بالأولين من الظالمين سيلحق بالآخرين لأنه قانون إلهي في قوله I: { فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوباً مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ}[الذاريات : ٥٩] .

هذه نصوص قطعية ثبوتاً ودلالةً على أن هذا القصص ليس من الماضي الذي لا يتكرر فعلاً وأثرًا، بل من المنهجيات والقوانين الإلهية التي لا تتخلف في حالة واحدة وهي قوله I: { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ }.

والآيات على اختصارها الشديد تورد سببين رئيسيين لأن يصبَّ الله على أي أمَّة سوط عذابه، وسيف انتقامه، هما الطغيان والفساد .

والطغيان هو تجاوز الحدود والحقوق والواجبات، ولو كان في عبادة على حساب أخرى أو في حق على حساب آخر، ولذا قال تعالى : { أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللّهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة : ١٩]. ومنه أيضا ما وعظ به عبد الله بن المبارك الفضيل بن عياض :

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا	لعلمتَ أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه	فنحورنا بدمائنا تتخضب
أو كان يتعب خيله في باطل	فخيولنا يوم الصبيحة تتعب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا	رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا	قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي غبَّار خيل الله في أنف امرىء ودخان نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا ليس الشهيد بميت لا يكذب

وقد عقد ابن خلدون في مقدمته التاريخية التحليلية الرائعة باباً بعنوان : "أن الظلم مؤذِنٌ بخراب العمران "، فكيف إذا كان الطغيان في واقعنا المعاصر مظالم مركبة، وفواحش متعددة، وآلام عميقة في نفوس المقهورين والمظلومين من المستضعفين والمغلوبين على أمرهم؟ !، وك يف إذا تحول الفساد كما قال I: { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي } [الروم : ٤١] ؟!، ولقد زاد الفساد في زماننا إلى فساد الجو بأفلام عارية، ومسلسلات هابطة، ومسرحيات ماجنة، وأغان ساقطة، وحركات فاضحة، وخمور تدور على الموائد، ومخ درات تنتشر في كل نجع، وتتوفر المحرَّمات في كل مكان، ويشح الحلال الطيب من الغذاء عن ذوي الأكباد الجائعة، وتغلو الملابس اليسيرة على ذوي الأجساد العارية، ويفتقد الدواء عن ذوي الأمراض المزمنة، وتتضاءل الحرية عن ذوي المروءات النادرة . هذا الطغيان وذاك الفساد حقيق بأن يكون سبباً في أن ينزل على أهل الأرض ألوانا من العذاب لا يمكن الوقاية منه إلا بالعودة إلى ميزان العدل ليكون بديلاً عن الطغيان، وعمارة الأرض بالحلال الطيب ليكون بديلاً للفساد.

المنهجية السابعة

صلاة الفجر من أسباب النصر

لطالما فكرت مليًا في العلاقة بين أوائل سورة الفجر، في الحديث عن صلاة الفجر واستثمار الليالي العشر، والشفع والوتر، والقنوت في الليل، ثم الحديث بعدها عن عاد وثمود وفرعون، حتى اهتديت بفضل الله ومنته إلى الحقائق التالية التي جعلتني موقنا بأن صلاة الفجر في المسجد وقيام الليل تبتلًا وذلة وقنوتا بين يدي الله يصنعان ـ بفضل الله ـ النصر على الظالمين، ويبدو ذلك من الشواهد التالية:

١. لا يمكن أن يكون هذا التوالي إلا لإشارة واضحة أننا كمسلمين يجب أن نستعد لمواجهة الظالمين بعُدة المؤمنين لأن الله تعالى يقول: {وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ}[الروم : ٤٧]، ومن أهم صفات هؤلاء المؤمنين صلاة الفجر وقيام الليل، فهذا التوالي يعني أن تلكم هي مقدمات النصر التي تستمطر رحمات الله على المؤمنين، وتستنزل سوط العذاب على الظالمين.

٢. جاء في سنن النسائي عن أنس بن مالك τ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ρ يَوْمَ خَيْبَرَ صَلاَةَ الصُّبْحِ بِغَلَسٍ وَهُوَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ خَرِبَتْ خَيْبَرُ مَرَّتَيْنِ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ». (سنن النسائي الصغرى، كتاب المواقيت، باب التغليس في السفر، ٢٩٣/١، حديث صحيح)

٣. روى الترمذي بسنده عن النعمان بن مقرن τ قال: «غَزَوْتُ مع النبيِّ ρ فكان إذا طَلَعَ الفَجْرُ أمْسَكَ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ فإذا طَلَعَتْ قَاتَلَ، فإذا انْتَصَفَ النَّهَارُ أمْسَكَ حتى تَزُولَ الشَّمْسُ » (سنن الترمذي، كتاب السير، باب ما جاء في الساعة التي يستحب فيها القتال، ١٨٧/٥، حديث [فيه] قتادة لم يدرك النعمان بن مقرن)

٤. يذكر الدكتور السرجاني عددا من القادة المسلمين أنهم كانوا يبدؤون قتالهم بعد صلاة الفجر، وذكر منهم خالد بن الوليد τ في كل معاركه، وأنس بن مالك τ في فتح "تُستر"، ويوسف بن تاشفين في موقعة الزلاقة، وسيف الدين قطز في موقعة عين جالوت، ومما اشتهر أن صلاح الدين الأيوبي خاض معارك لم يوفق فيها فتفقد جنوده فوجد خيمة ينام جنودها عن صلاة الفجر فقال : "من هنا نُؤتى"، فلما انتظموا في صفوف المسلمين في صلاة الفجر جاءهم النصر على الصليبيين في موقعة حطين.

بل إن كتب التاريخ تذكر أن صلاح الدين لما همَّ بحرب الصليبيين ذهب إلى صلاة الفجر في المسجد الأموي ونظر إلى المصلين بعد أن أقيمت الصلاة، فوجد أنهم قلة لم يكملوا الصف الأول، فعاد إلى الدعوة والتربية وحث الأمة على عمارة المساجد وح فظ القرآن، و بعد سبع سنوات ذهب إلى المسجد نفسه فلم يجد له مكانا، وصلى في الساحة الخارجية، عندها بدأ يعد العدة للحرب على الصليبين.

٥. ومما يستأنس به على أن صلاة الفجر ترعب أعداءنا ما تواتر عن الصهاينة المعتدين أنهم يحرصون أن يسألوا عن عدد مصلي الفجر في مساجد المدن الفلسطينية، وأن شامير رئيس الوزراء الأسبق للكيان الصهيوني كان أول من جعل ذلك جزءًا أساسيا من التقارير التي ترفع إليه من عملاء الكيان الصهيوني، حيث يذكر بشكل دوري عدد مصلي الفجر في العواصم الإسلامية الكبرى، وكان يردد :

"لا زالت إسرائيل بخير ما دام الفرق شاسعا بين مصلي الفجر ومصلي الجمعة"، ولهذا يمتلئ قلبي أملا بقرب النصر مع زيادة مصلي الفجر، وقد أعلنت في كلمتي التي ألقيتها في المسيرة المليونية لتأييد المقاومة الفلسطينية في مواجهة العدوان الصهيوني التي عقدها حزب السعادة التركي في إسطنبول في أول يوليو ٢٠٠٧م حيث دعيت لإلقاء كلمة في هذه المسيرة، وكان مما قلته : " فلينتظر الصهاينة جيلا جديدا من الشباب من عمَّار بيوت الله المحافظين على صلاة الفجر كما رأيت في مسجد أبي أيوب الأنصاري بمدينة أسطنبول في صلاة الفجر في يوم المسيرة نفسها حيث كان يصلي الفجر أكثر من ثلاث ين ألفا، وزادني سعادة وأملا أن أكثرهم من الشباب الذين ألقيت الفتن بين أيديهم وأرجلهم وأعينهم وألسنتهم، لكنهم بفضل الله تركوا كل ذلك وهرعوا إلى المسجد، وعكفوا على القرآن والسُنة مما يرجى منهم الخير الكثير بإذن الله تعالى.

٦. ومن الشواهد على ارتباط النصر بصلاة الفجر ما أفاض الله به على أهل غزة والأمة الإسلامية من ورائهم بالانتصار على بني صهيون في هذه الهجمة الشرسة في أول العام الهجري ١٤٣٠هـ، وقد استنفر الجيش الصهيوني فيها كل ما يملك من سلاح جوي وبري وبحري، واستنفد كل ما عنده على قوم حوصروا من العدو والصديق ل كن الله تعالى جعل من صلاة الفجر وعمارة المساجد وحفظ القرآن واتباع هدي سيد الأنام أسبابًا لنزول الرحمات، وظهور المعجزات، وكثرة الكرامات، التي قلبت السحر على الساحر، والمكر على أهله والكيد على صاحبه، ولذا كان استهداف المساجد من أكثر ما حرص عليه العدو، لكن أه ل غزة تحدّوا ذلك كله بأن صلوا على

أنقاض المسجد، ولا تزال غزة أكثر بقاع الأرض التي تمتلئ فيها المساجد بالمصلين في الفجر بما يقارب صلاة الجمعة وهو من أكبر آمال النصر إن شاء الله Y .

المنهجية الثامنة

كيف نرضى بالله وعن الله تعالى؟

يصف ربنا I الإنسان بشكل عام بأنه يفرح للعطاء المادي بشكل خاص ويحزن لقلة الرزق في يده، فيقول I: { فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ % وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ }[الفجر : ١٥ : ١٦] . يعتقد كثير من الناس أن الكرامة والهوان ـ كما ذكر الإمام القرطبي ـ كثرة الحظ في الدنيا وقلته، ونسب هذا إلى الكفار فقط، ثم قال : " فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته وتوفيقه، المؤدّي إلى حظ الآخرة، وإن وسَّع عليه في الدنيا حمِده وشكره "(تفسير القرطبي، سورة الفجر، آية ١٥، ٢٠/٥١). وهذه نقطة فارقة بين المؤمن وغير المؤمن الذي لا يرى الكرامة إلا في سعة الأرزاق والأموال والسُلطات والواجهات، ويدور حول نفسه فإذا زاد له في العطاء لا يحمد ربه، بل يقول (رَبِّي أَكْرَمَنِ) إحساسا منه أنه أهل لهذا الرزق وهذا المال، وإذا ما ضيِّق عليه يسخط على ربه فيقول: { رَبِّي أَكْرَمَنِ } فلم يدرك أن الأمرين ـ السعة والضيق في الأرزاق ـ هما ابتلاء للإنسان هل يشكر أو يصبر في الحالتين؟ والفارق بين من يدور حول نفسه فيراها أهلاً لكل إكرام وأن أي مساس به هو ذل وهوان، فيعيش ساخطا على ربه، مشتتا في قلبه، ممزقا في نفسه فلا من كثير يشبع، ولا بقليل يقنع ، كما قال العقاد:

صغير يشتهي الكبرا ... وشيخ ودَّ لو صغُرا
وخال يشتهي عملاً ... وذو عمل به ضجِرا
ورب المال في تعب ... وفي تعب من افتقرا

ويشقى المرء مهزوما ولا يرتاح منتصرا

فهل حاروا من الأقدا ر أم هم حيروا القدرا؟!

أما الميزان الرباني عند أصحاب الإيمان فكل عطاء ابتلاء كما قال تعالى : {وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً }[الأنبياء : ٣٥]، وقال تعالى : { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ}[الإنسان : ٢] ..

وأحسب أن المؤمن يجب أن يعيش يقينا بأنه مبتلى بالعطاء: هل يؤدي فيه حق الله؟ ويحفظه مما حرم الله؟ ويوظفه فيما أمر الله؟ أو بقلة الرزق هل يصبر على قدر الله؟ وفي الحالتين يستصحب الرضا عن الله وفقا لما رواه الترمذي بسنده عن سعد بن أبي وقاص τ قال قُلْتُ : يا رسولَ الله، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاَءً؟ قال: «الانْبِيَاءُ ثُمَّ الامْثَلُ فالامْثَلُ: فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْباً اشْتَدَّ بَلاَؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ ابْتُلِيَ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فمَا يَبْرَحُ الْبَلاَءُ بالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ »(سنن الترمذي، كتاب الزهد، بابُ ما جاءَ في الصَّبْرِ عَلى الْبَلاَءِ، ١٠٤/٧، حديث حسن صحيح).

وإذا كان موضوع الرضا قد جاء صريحا في آخر السورة {رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً } [الفجر : ٢٨] فقد جاء كناية في الآيتين في وسط السور لتعبر عن عدم رضا الإنسان عن ربه وشكره له إذا أكرمه ونعمه أو قدر عليه رزقه، وهذا يستلزم أن نقف على معنى الرضا وهو في اللغةمن رَضِيَ يَرْضى رِضاً ورُضاً ورِضْواناً ورُضْواناً، ومَرْضاةً، فهو راضٍ من قوم رُضاةٍ، وهو ضد السخط (لسان العرب لابن منظور المصري ، باب الراء ثم الضاد والياء، ص ٥٧٤).

أما الرضا في القرآن الكريم فقد وردت مادة "رضي" ومشتقاتها (٧٣) مرة، وترد في السنة كثيرا، ويمكنني تصنيف الرضا في القرآن والسنة فيما يتعلق بعلاقة العبد بربه، إلى نوعين: الرضا بالله I، والرضا عن الله I، ولعل الجدول التالي يوضح ذلك :

الرضا		
	الرضا بالله	**الرضا عن الله**
متى يبدأ	يجب أن يبدأ مع أول علاقة ثم يستمر في القبول والتسليم الكامل لأمر الله	يأتي بعد الرضا بالله في قضائه وقدره، خيره وشره
الدليل	(رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ρ نبيًا ورسولا)	{رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [المائدة : ١١٩]
مثال توضيحي	إذا تقدم شاب لخطبة فتاة لا تُ سأل الفتاة هل أنت راضية عنه خاطبا ثم زوجا؟ بل هل أنت راضية به خاطبا ثم زوجا؟	إذا تعايش الزوجان زمنا لا تُ سأل الزوجة: هل أنت راضية به؟ إنما تسأل هل أنت راضية عنه؟
علامة وجوده	يدل على الرضا بالله أمران: ١. مخالفة الهوى الداخلي. ٢. مخالفة العرف الخارجي إذا تعارض مع أمر الله عز وجل.	يدل على الرضا عن الله أمران: ١. الشكر عند النعمة الأولى واستمرار الشكر مع طول العطاء. ٢. الصبر عند الصدمة الأولى مع

		استمرار الصبر مع طول البلاء.

أولا: الرضا بالله تعالى:

بناء على ما سبق أستطيع أن أقول إن الرضا عن الله لا يمكن أن يكون إلا بعد الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ρ نبيًا رسولا، كما قال I: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً }[المائدة : ٣]، وهو رضا لا يتجزأ فهو رضا يتعلق بشكل أساسي بجانب الألوهية أن يقبل المسلم مع الرضا التام والتسليم المطلق بأمر الله مهما خالف العرف الخار جي الشائع، والهوى الداخلي الجامح، كما قال I: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّ مَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيماً} [النساء : ٦٥]، وكما قال I: { وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُّبِيناً }[الأحزاب : ٣٦]، وهي النقطة الحاسمة التي يدخل بها الإنسان الإسلام حقيقة ومضمونا، لا شكلا وتزييفا، وتفارق حالة النفاق التي فضحها الله في سورة "التوبة" و"المنافقون"، حيث قال I: { إِذَا جَاءكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ}[المنافقون : ١]، وهؤلاء المنافقون إذا لم يرضوا بالله I تجدهم يرضون بشيء آخر يوضحه ربنا في الآيات التالية:

(١) **الرضا بالدنيا**، كما قال I: { أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ } [التوبة : ٣٨] في تفسير وتحليل أسباب التثاقل إلى الأرض في الآية: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ } [التوبة :

٣٨]، ثم يفضح الله هؤلاء الذين تركوا الرضا بالله وركنوا إلى الرضا بالدنيا، فقال I: { أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ }.، وهؤلاء يصلون إلى درجة النفور من لقاء الله مع الرضا والاطمئنان إلى عرض هذه الحياة : { إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ } [يونس : ٧] ، وتلكم حالة من النفاق الخطير الذي يعصف بحب الله والرضا بالله ويتحول إلى تعلق يصل إلى درجة الهوى المريض (التعلق بغير الله Y).

(٢) **الرضا بالقعود عن الجهاد ونصرة هذا الدين**، فهم يريدون دينًا بلا تضحية ولا مغرم، بل عطاء ومغنم، ويرضى صاحبه بأن يكون مع الخوالف أو الخالفين الذين أقعدهم العذر أو النفاق، كما قال I: {إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ } [التوبة : ٨٣] ، وقوله I: { رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } [التوبة : ٩٣] ، وأقطع يقينا هنا بأن الإنسان الذي لا يرضى بالله ربا وبالإسلام.. لابد أن يرضى بشيء آخر مثل الأديان الأرضية والأعراف الاجتماعية والأهواء الذاتية، كما قال I: { أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ }[الفرقان : ٤٣]، وقال I عن الذين رفضوا رسالات الأنبياء قالوا : { إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ } [الزخرف :٢٣] ، وهي الغشاوة التي حج بت كفار قريش رغم ثقتهم أن محمدا ρ هو الصادق الأمين ولكنهم استنكفوا واستكبروا أن يفارقوا دين عبد المطلب وأقوامه.

وإذا جئنا لنسقط هذا على واقعنا اليوم فإن البلاء الذي نعيشه يتمثل في أننا نجد من بين من ينتسبون إلى الإسلام يرضون بالله ربا يو م الجمعة أو في رمضان أو في بعض الشعائر التعبدية ثم ينطلقون في اتباع المذاهب الأرضية من شيوعية واشتراكية وعلمانية والحداثة وما

بعد الحداثة والقومية والعصبية والشرعية الدولية حتى لو خالف كل ذلك صريح القرآن وهدي رسولنا عليه أفضل الصلاة والسلام، وهم كما وصف القرآن المنافقين بإمعان:{ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ ا لنَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً % مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء }[النساء : ١٤٢ : ١٤٣] بعض هؤلاء لا يبرح الصلاة في المسجد لكنه يخرج في تجارته بإعلان الحرب على الله ورسوله تعاملًا بالربا وإهمالًا للزكاة أخت الصلاة، فتجد من المفارقات ما تشيب له الرؤوس على الرغم من أن الناس درجوا على أن الطالب الذي يتفوق في كل المواد ثم يستنكف أو يستكبر أو يستصعب مادة واحدة لن يتخرج من الجامعة، وأن المجرم الذي يخالف مادة واحدة من الدستور أو القانون يعاقب بأشد العقوبات ولا يشفع له التزامه ببقية القوانين، ولله المثل الأعلى لا يرضى الله من عبدٍ أن يرضى به ربا وإلها في المسجد، ويرضى بشرائع أخرى في م اله أو زواجه أو علاقاته أو تصريف ملكاته وقدراته.

والخلاصة هنا أن أول خطوات العلاقة مع الله في الرضا، أن تكون رضا به ربًا، وإلهًا منعمًا وحاكمًا، خالقًا وآمرًا، وبشكل كامل بما يمكِّن الإنسان من مخالفة وتحدي بل تغيير الهوى الداخلي أو العرف الخارجي ليكون كل ذلك تابعا للهدي الرباني.

<u>ثانيا: الرضا عن الله تعالى:</u>

سبق أن ذكرنا أن الرضا عن الله يتلخص في أمرين:

(أ) الشكر عند النعمة الأولى واستمرار الشكر مع طول العطاء.

(ب) الصبر عند الصدمة الأولى مع استمرار الصبر مع طول البلاء.

فإذا ما رزق العبد سرعة الشكر لله تعالى مع أول بزوغ النعمة، واتجه إلى الشكر القولي والعملي لقوله I: { اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْراً } [سبأ : ١٣] فالشكر القولي ذكرٌ باللسان، وامتنان إلى الرحمن، والشكر العملي عطاء فياض من هذه النعمة لخدمة بني الإنسان بل يفيض على النبات والحيوان فيكون مثالا لعمارة الأرض مم ا أفاض الله به عليه من أرزاق العلم، أو الإدارة أو أرباح التجارة، أو كثرة الأولاد ووفرة الأصدقاء والأحباب، كل هذا يوظف لما يرضي ربنا سبحانه وتعالى؛ فيخلف الله عليه بالمزيد ويضاعف له الأجر في الدنيا والآخرة . أما المبتلى في أي جانب من حياته كما قال I:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوفْ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الأَمَوَالِ وَالأنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } [البقرة : ١٥٥] فيتحول البلاء إلى مصدر من البشارة إلى هؤلاء الصابرين الذين يوقنون حقا بمعنى قوله I: { إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعونَ}[البقرة : ١٥٦] ، فالكون له، والملك بقبضته، والخير بيديه.

ومن الأمثلة الحية في تاريخنا الإسلامي وواقعنا الحالي ما يدل على الرضا عن الله في السراء والضراء ما يلي:

١. لما أنعم الله تعالى على سيدنا يوسف υ بقدوم أبويه وأخوته بادر إلى شكر الله Y فقال: {رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِ الصَّالِحِينَ } [يوسف : ١٠١]. وهذا من الشكر الفياض قولا وعملا.

٢. لما رأى سيدنا سليمان عرش بلقيس بين يديه كان أول ما قال : { هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ} [النمل : ٤٠]

٣. عبر الله عن موقف سيدنا أيوب من البلاء الشديد في جسده وأهله وولده وماله وشماتة أعدائه، ومع هذا قال الله I عنه : {إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ} [ص : ٤٤].

٤. ذهبت إلى مدينة تورنتو - كندا - لإلقاء بعض المحاضرات والدورات، وفي نهاية رحلتي سألت عن ذوي البلاء في الجالية المسلمة، فذُكر لي أن سيدة كانت أكثر النساء نشاطا في المسجد وعناية بنساء الجالية وأولادهم، وظلت اثنتي عشرة سنة لم ترزق بأولاد؛ ومع الدعاء رزقت بت وأم، ودخلت عليها امرأة المستشفى تزورها بعد الولادة فقالت دون تسمية : "رزقت ولديْن مرة وحدة؟ !"، فأصيبت الأم بالعمى في الحال، فطلَبتُ الاتصال بزوجها، والإذن بزيارتهم ومواساتهم والدعاء لهم في مصابهم، ولما جاء الزوج بزوجته في غرفة الاستقبال بدأت أذكِّرها بالله تعالى، وثواب الصابرين على بلائه والراضين بقضائه، فإذا بها تدهشني وتدهش الجميع؛ وتعلمنا درسًا راقيًا في تمام الرضا عن الله Y حيث قالت : "يا دكتور أنا كان عندي عينين وربنا أعطاني أربعة "، أي أنها تنظر إلى العطاء بولدين بأربعة عيون، ولا تنطوي على فقدها عينيها رضاء بقضاء ربها، فعدت بأعظم درس في الرضا عن الله تعالى عند شدة البلاء.

أقول هذه الآيات مع ما ورد في آخر سورة الفجر: { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ⊥ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً } [الفجر : ٢٧ ، ٢٨] ، نريد أن نتعلم كيف نرضى عن الله لننال هذه المنزلة: (رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً). ولعل ما ذكره شيخنا أ.د. عمر عبد الكافي في برنامج - في رياض الجنة

ـ عن ابن عطاء السكندري: "المنع من الله إحسان كما منع الله Y موسى υ من حضن أمه ، ثم رده إلى أمه مع أجر وغنيمة ، والعطاء من المخلوق حرمان، فعرما يعطيك يحرمك ويسلبك عزة نفسك ".

والأَوْلى من الإنسان أن يحسن الرضا والتفويض والتوكل والاعتماد على الله وحده لينال أعظم الرضا، قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ :

" من اعتمد على نفسه كلَّ، ومن اعتمد على ماله قلَّ، ومن اعتمد على عقله ضلَّ، ومن اعتمد على غيره ذلَّ، ومن اعتمد على الله فلا كلَّ ولا ملَّ ولا قلَّ ولا ضلَّ".

المنهجية التاسعة

كفالة الأيتام والتعفف عن المال الحرام

تنتقل بنا الآيات من تقرير منهجية الرضا عن الله إلى منهجية أخرى هي التعامل مع المال بتقريع شديد عندما يحبس عن الأيتام والمساكين ويستجمع الإنسان المال من أقرب الناس إليه فيأكل التراث أكلاً لمًّ لأنه يحب المال حبًّا جمًّا ، وهنا يخرج المسلم الذي يعيش مع القرآن بالعقل تدبرًا وبالقلب تأثرًا وبالنفس تغيرًا بمشاعر الكراهية لهذا الشره على المال الذي يحول الإنسان من سيد للكون وخليفة لله في المال إلى عبد ذليل كسير دنيء أمام بريق المال فلا تحرق الأكباد الجائعة قلبه فينفق ، ولاتحرك القرابة مشاعره كي يعطي الضعفاء حقوقهم.

إن في تضاعيف هذه السورة الجليلة تأكيدًا على أمرين فيما يتعلق بالمال:

١. **تخلية** عن أكل التراث أكلًا لمًّا أو البخل أو التقصير في إكرام اليتيم والمسكين.

٢. **تحلية** بإعطاء كلِّ ذي حق حقه وحث الناس وحضهم على كفالة الأيتام والمساكين.

وهنا ينهض المسلم الذي غيرته آيات القرآن لا ليعطي الفقير واليتيم والقريب حقهم في المال فقط ، بل ليحض على طعام المسكين ماديا وإكرام اليتيم معنويا وماديا، ويحول عمله الفرد ي إلى عمل مؤسسي { تَحَاضُّونَ }[الفجر : ١٨] أي جماعات يحض بعضه م بعضاً، لأن

الغالب أن غنيا سخيا لن يغني فقراء وأيتام العالم ـ مسلمين وغير مسلمين ـ فلا يغني العطاء عن الحض ، من خلال عمل جماعي يسعى لإنهاء الفقر والمسكنة ما وسعهم الجهد.

والحق الذي لا يخالج ني فيه أدنى شك أن آيات هذه السورة مع غيرها من النصوص توجب على الإنسان أن يمارس عملية إكرام اليتيم معنويا، والحض على طعام المسكين ماديا كواجب شرعي ينجيه من النار، يدل على ذلك قوله تعالى:

١. { كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ }[الفجر : ١٧] ، فالأصل في إكرام اليتيم أنه مادي ومعنوي؛ حيث يحتاج إلى المخالطة والمواددة مع الكفالة المادية، فإن كان غنيا بالإرث فسيظل فقيرا إلى الحنان والحب والوئام. ومما يؤكد ذلك في الأبحاث المعاصرة ما ذكره الدكتور ميسرة طاهر في مقال بعنوان "جلودنا واللمس": "في الحرب العالمية الثانية خصصت عنابر ليتامى الحرب من الأطفال، ولوحظ في حينها أن عنبرا منها كان أطفاله أكثر هدوءا وسكينة، وأقل نسبة وفيات من غيره، وكانوا طيعين أكثر لمرضاتهم، يستمعون لكلامهن وينفذون أوامرهن وطلباتهن، وكانت كل هذه الملاحظات دافعا قويا لأحد الأطباء لطرح سؤال مهم على نفسه :لماذا أطفال هذا العنبر بالذات يتصفون بهذه الصفات؟

وبدأ يقارن بين هذا العنبر وغيره فوجد أن طعام العنابر كلها متشابه، والعناية الطبية فيها متشابهة، ولم يميز ذلك العنبر عن غيره إلا أمر واحد فقط أن امرأة عجوزا تسكن بالقرب منهم تزورهم كل يوم تمسح على رؤوسهم وتحتضنهم، وكانت المفاجأة الكبرى أن نسبة الوفيات والمرض وكذلك التخلف العقلي عند الذين حرموا من اللمس أعلى ممن كانوا يلمسون ..... ويقول العلماء إن في

الجلد ما يعادل خمسة ملايين خلية عصبية، تحتاج إلى لمسها للمحافظة على حيويتها وحياتها، وإذا كنا متفقين على أن الماء والهواء والغذاء عناصر مهمة جدا لاستمرار كل منا، فإننا بحاجة أيضا إلى لمس جلودنا حتى نحافظ على حياتنا، فكثيرون هم الذين يشعرون أن شيئا ما قد مات فيهم حين يفقدون لمس جلودهم، ولا أعتقد أن حرص المصطفى عليه الصلاة والسلام على لمس رأس اليتيم كان عابثا، فقد روي عن أبي هريرة: أن رجلا شكا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه؛ فقال: (امسح **رأس اليتيم** وأطعم المسكين) (الترغيب والترهيب للمنذري، رقم: 3/316رجاله رجال الصحيح)، وذلك لسبب وجيه أن اللمس رسالة متعددة المعاني ففيها الحب والمشاركة والرحمة والطمأنينة والدعم والتشجيع".

٢. { وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ }[الفجر : ١٨] تتحدث هذه الآية بشكل مباشر عن الحض على الإطعام المادي للجوعى من الفقراء والمساكين، ومجيء الآيات بعدها تتحدث عن جهنم والعذاب والوثاق فيها يؤكد أن هذا الحض واجب شرعي قطعي.

٣. { أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ % فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ % وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ % فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ % الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ % الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ % وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ }[الماعون:١ : ٧]، وهي قطعية الدلالة والثبوت على أن عدم الحض على طعام المسكين مؤد إلى العذاب والويل والعياذ بالله.

٤. الآيات من قوله I: { وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ % وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ % يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ % مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ % هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ % خُذُوهُ فَغُلُّوهُ % ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ % ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ % إِنَّهُ

كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ % وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ % فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ % وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ % لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ } [الحاقة :٢٥: ٣٧] ، وهي أيضا من القطعيات الواضحات أن سبب هذا العذاب كله أمران : أولهما : عدم الإيمان بالله ، وثانيهما: وعدم الحض على طعام المسكين.

ولا أجد حرجًا من القول إن دلالات هذه الآيات تؤكد على وجوب إنشاء جمعيات البر وكفالة الأيتام ورعاية الفقراء والمحتاجين وعلاج المرضى والزمنى والجرحى وأبناء الأسرى والمسجونين والشهداء وجوبًا وكفالة لا تتعلق بشخص مهما كان عطاؤه إلا أن في العطاء الفردي سلبيتين كبيرتين:

١. عدم الكفاية والتغطية لحاجات كل الفقراء والأيتام والمساكين مسلمين وغير مسلمين.

٢. عدم الاستمرار فإذا كان شخص أو أشخاص كلٌ في بلده يكفل عددًا كبيرًا من الفقراء والمحتاجين فإن موت هؤلاء الأشخاص أو بعضهم يؤدي إلى الموت البطيء لمن وراءهم من الفقراء، إذا قسمت تركة هؤلاء الكرماء فإنها قد تؤول إلى ورثة فيهم من ينفق من حصته المحدودة، ومنهم من تحدث القرآن عنه بقوله I: { إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ % وَلَا يَسْتَثْنُونَ }[القلم : ١٧ : ١٨]، وقوله تعالى : { فَتَنَادَوا مُصْبِحِينَ % أَنِ اغْدُوا عَلَى حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ % فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ % أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ } [القلم:٢١: ٢٤] ، وهي قصة تؤكد ان صلاح الأب وبذله لا يعني أن أولاده سيتسمرون بعده في هذا العطاء، ولا يمكن شرعا ولا عرفا أن تتعلق الأجساد العارية والأكباد الجائعة والأبدان العليلة بحياة شخص أو موته بل يجب أن يتعلق بعمل مؤسسي مستمر دائم

يحفظ لهؤلاء حقهم في مال الأمة أو في مال الأغنياء، كما قال تعالى : { وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّ عْلُومٌ % لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ }[المعارج :٢٤، ٢٥] وهو الزكاة، وقوله تعالى : { وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ } [الذاريات : ١٩] وهو حق مفتوح لا يوقفه حدٌ إلا أمران:

أ. أن يبقى لدى الغني ما يكفيه ومن تلزمه نفقته.

ب.أن يصل الفقير والمحتاج إلى درجة الكفاف والكفاية، والأصل الشرعي ألا يستمتع غني بحد الرغد حتى يصل كل فقير أو يتيم أو مسكين أو محتاج إلى حد الكفاية كحق أصيل أكدت عليه نصوص القرآن والسنة ومن استراب أو تشكك في صحة ذلك فإنني أسوق هذه الأدلة بين يدي هؤلاء الذين يريدون أن يلقوا الله راضيًا عنهم وألا يكتووا بكنوزهم التي حبسوها عن الفقراء والمساكين، كما قال I: { وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ % يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ }[التوبة:٣٤: ٣٥].

أما الأدلة على وجوب بذل الفضل لكل محتاج وصل إلى درجة الفقر والجوع والمسكنة فأهمها ما يلي:

١. ورد الأمر بالإنفاق و الحث عليه و ذم الشح و البخل في القرآن الكريم (١٣٣) موضعا، منها (٣٣) موضعا من الزكاة في القرآن المكي و المدني، و مائة مرة عن الإنفاق بشكل عام بما يوجب بذل المال (من الزكاة أو غيرها) لكفاية الحاجات العامة و الخاصة، و هو وزن ثقيل في الحث على الإنفاق.

٢. أن أكبر مجال للإنفاق في القرآن الكريم هو كفاية المحتاجين حيث ورد الحث على ذلك في (٢١) موضعا في مصارف الإنفاق، بينما ورد الحث على الإنفاق للجهاد فى سبيل الله في ١٤ موضعا، وهذا يعني أن كفاية الفقراء والمحتاجين تسبق عددًا الإنفاق للجهاد مما يوجب على الدول والحكومات والأغنياء ألا يسرفوا في النفقات العسكرية ويهملوا النفقات الاجتماعية.

٣. في دراستي عن سلطة ولي الأمر فى فرض الوظائف المالية (الضرائب)،(ص ١٨٠- ٢٢١) قدمت أكثر من ثلاثين دليلا من القرآن و السنة على أن الواجب في المال يتجاوز الزكاة إلى حقوق أخرى تكفي لكفاية جميع الحاجات للمسلمين و لغيرهم ، وقد أوصلتني لدرجة اليقين بأن ما يجب في المال ليس فقط الزكاة وإنما الواجب ما يوصل كل فقراء العالم إلى الاستغناء والاكتفاء.

٤. القواعد الشرعية توجب إغاثة أي محتاج على وجه الأرض، مسلم أو غير مسلم، و من هذه القواعد "الضرر يُزال " و "يُتحمل الضرر الخاص لأجل الضرر العام" و " الضرر الأشد يزال بالأخف" و "الحاجة تنزل منزلة الضرورة عامة كانت أو خاصة" و "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب" و "الحاجي و التحسيني خادم للضروري" و "اختلال الضروري يخل بالحاجي والتحسيني" و "الشريكان فى عين مال أو منفعة إذا كانا محتاجين إلى دفع مضرة أو إبقاء منفعة أُجبر أحدهما على موافقة الآخر " ،هذه القواعد الشرعية التي ذكرها السيوطي أو ابن نجيم في الأشباه و النظائر ، أو الشاطبي في الموافقات أو ابن رجب في القواعد الفقهية، توجب سرعة الإغاثة لإخواننا في الإنسانية الذين يعانون من آلام الج وع الحاد والمرض القاسي والبرد القارص والحر اللاهب، مهما كانت دياناتهم أو جنسياتهم لقوله I: { وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً % إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُوراً } [الإنسان:٨،٩].

٥. يتفق علماء الأمة في جميع المذاهب الفقهية قاطبة قديما و حديثا على وجوب بذل الفضل لكل مضطر و محتاج ، و قد حكى القرطبي في تفسيره (٢٢٥/١) اتفاق علماء الأمة على ذلك ، ويستطيع أي باحث مراجعة ذلك في المذهب الحنفي لدى السرخسي في المبسوط (٢٤- ٢٩) أو لدى الكساني في بدائع الصنائع (6/188)، و في المذهب المالكي في الموطأ لمالك ص (١٧١)، ولدى الباجي في المنتقي (6/39)، وفي القواعد لابن مكي (٣٤/٢)، ولدى الشاطبي في الموافقات (٩٧/١)، و في المذهب الشافعي لدي الجويني في الغياثي فصل المشرفين على الضياع فقرات (٣٣٧- ٣٤٢)، و الماوردي في الأحكام السلطانية ص (١٨٣)، والنووي في المجموع ص (٣٢/٩) و الشيرازي في مغني المحتاج (٣٠٨/٤)، وفي المذهب الحنبلي في الأحكام السلطانية للفراء (٢٢٠) ، و المغني لابن قدامة (٦٠٢/٨) (٣٤٣/١١)، وفي المذهب الظاهري عند ابن حزم (١٥٨/٦)، و لدى مذهب الزيدية في شرح الأزهار لابن المرتضي (٥٥٤/٢)، و العجيب أن هناك عبارات صريحة لكثير من هؤلاء الفقهاء أن من حق الجوعى والمرضى و ذوي الحاجات أن يقاتلوا مَ ن حرمهم من حقهم في بذل الفضل و إقامة العدل في البذل، ومن ذلك ما قاله ابن حزم: "من عطش فخاف الموت ففرضٌ عليه أن يأخذ الماء حيث وجده وأن يقاتل عليه . وقال أيضا : فأي فرق بين ما أباحوا له من القتال على ما يدفع به عن نفسه الموت من العطش، وبين ما منعوه من القتال، عن نفسه فيما يدفع به عنها الموت من الجوع والعري. وهذا خلاف للإجماع وللقرآن وللسنن وللقياس". (المحلى: ١٥٩/٦).

و قد أشار إلى هذا شيخنا القرضاوي في برنامج "الشريعة والحياة " الذي بثته قناة الجزيرة في حلقة خا صة أول إبريل ٢٠٠٦م عن حقوق الجياع.

٦. وردت عبارات صريحة لكثير من فقهاء الأمة توجب على آحاد الأمة أن يقوموا بواجبهم نحو ذوي الحاجات من إخوانهم ولو زاد ذلك عن الزك اة ومن ذلك:

(أ) ذكر ابن حزم تعليقا على الحديث الذي رواه البخاري بسنده عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ρ قال : من لا يرحم لا يُرحم" قال : ومن كان على فضلةٍ ورأى المسلم أخاه جائعا عريانا فلم يغث ه فما رحمه بلا شك (المحلى ٦ /١٥٧). وقال أيضا: ولا يحل لمسلم اضطر أن يأكل ميتة، أو لحم خنزير وهو يجد طعاما فيه فضل، عن صاحبه ، لمسلم أو لذمي ؛ لأن فرضا على صاحب الطعام إطعام الجائع فإذا كان ذلك كذلك فليس بمضطر إلى الميتة، ولا إلى لحم الخنزير، وله أن يقاتل، عن ذلك، فإن قُتل فعلى قاتله القود، وإن قُتل المانع فإلى لعنة الله؛ لأنه منع حقا، وهو طائفة باغية، قال تعالى: {فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله } (الحجرات:٩)، ومانع الحق باغ على أخيه الذي له الحق ؛ وبهذا قاتل أبو بكر الصديق رضي الله عنه مانع الزكاة، وبالله تعالى التوفيق". (المحلى: ١٥٩/٦).

(ب) ذكر ابن سعد في الطبقات الكبري (٣ /٣١٦) عن عمر بن الخطاب τ أنه قال: لو لم أجد للناس من المال ما يسعهم إلا أن أدخل على أهل كل بيت عدتهم فيقاسمونهم أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بالحيا فعلت، لأن الناس لن يهلكوا على أنصاف بطونهم.

(أ) ذكر الماوردي في الأحكام السلطانية (١٨٣) أن عمر بن الخطاب τ أغرم قوما دية رجل مات عطشًا لأنه طلب منهم فضل الماء فلم يعطوه حتى هلك.

(ب) أورد الهندي في كنز العمال رقم (١٥٨٢٣)، وابن حزم في المحلي (١٥٨/٦) عن علي بن أبي طالب τ قوله : إن الله عز وجل فرض للفقراء في مال الأغنياء قدر ما يسعهم فإن منعوهم حتى يجوعوا أو يجهدوا حاسبهم الله حسابا شديدا وعذبهم عذابا نكرا.

(ج) يقول الجويني في كتابة الغيّاثي (ف:٣٣٩) : إذا هلك فقير واحد والأغنياء يعلمون به أثموا جميعا، ويقول في موضع آخر : إذا هلك فقير واحد بين ظهراني أغنياء علموا بحاجته أثموا جميعا من عند آخرهم، وكان الله طليبهم وحسيبهم يوم القيامة..

(د) أورد ابن تغري في النجوم الزاهرة (٧/٧٢)، وابن كثير في البداية والنهاية (٢١٥/١٣) ما أعلنه العز بن عبد السلام أنه إذا طرق العدو بلاد الإسلام وجب على العالم قتالهم، وجاز أخذ كل ما يعين على جهادهم وأشار إ لى وجوب بيع الحوائص الذهبية والآلات الفاخرة لدى الأمراء حتى يقوموا بحاجة المسلمين في الجهاد.

(ه) هناك اتفاق أيضا بين العلماء المعاصرين على وجوب بذل المال للمحتاجين سواء من الزكاة أو ما فوق الزكاة منهم الشيخ البهي الخولي في كتاب الثروة في ظل الإسلام (١٩٣)، ود. عبد السلام العبادي في كتاب الملكية في الشريعة الإسلامية ص (٢٧٨/٢)، وأستاذي الدكتور محمد البلتاجي - رحمه الله تعالى - في كتابه الملكية الفردية في النظام الاقتصادي الإسلامي ص (٢٥٩)، ود. يوسف إبراهيم يوسف في كتاب النفقات العامة في الإسلام ص (١١٢)، وأستاذنا الشيخ القرضاوي في فقه الزكاة

هذه هي الأدلة التي تؤكد عندي على أمرين:

١) وجوب كفاية الفقراء والمحتاجين عطاء من زكاة المال أو من أصله إذا لم تكفهم.

٢) أن يقوم المسلم بواجب أكبر من العطاء وهو الحض والحث على طعام وكفالة الفقراء والمحتاجين من خلال عمل مؤسسي يضمن للفقراء استمرار واستقرار سد خُلَّتهم وحاجتهم.

أما الضرورة الواقعية التي توجب الحض والحث على إكرام اليتيم وإطعام المسكين فمنها ما يلي:

١) جاء على صفحة قناة الجزيرة (١٤٣٠/٤/١١ الموافق ٢٠٠٩/٤/٧م) في الصفحة الأولى أن مقرر الأمم المتحدة المعني بالحق في الغذاء والخبير " أوليفر دي شاتر " قد أعلن في اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة في نيويورك يوم ٢٠٠٩/٤/٦م "أن أكثر من مليار إنسان في العالم يعانون من الجوع المزمن، وأن عدد الجياع في تزايد مستمر ، و أنه كل ست ثوان يموت طفل في العالم بسبب نقص الغذاء". وذكر التقرير أن "العوامل الرئيسية المسئولة عن الجوع هي التهميش والفقر والحرمان من امتلاك الأراضي، وعدم توافر عمل كريم، إضافة إلى أسباب بنيوية لها علاقة بنظام تجارة عالمي مجحف يفضي إلى استثمار هزيل في القطاع الزراعي خلال العقود الثلاثة الماضية على المستويين الدولي والوطني[٣]".

وأضيف أن من الأسباب الرئيسية هي هذه المليارات سواء المسلوبة أو المنهوبة أو المغتصبة من حقوق هؤلاء الفقراء.

---

[٣] http://www.aljazeera.net/NR/exeres/63DB4B3C-124D-478C-94D5-B0A9A25A61FD.htm

٢) في ٢٠٠٨م هناك تقارير مذهلة حول نسبة الفقر في العالم منها ما نشر في مقالة بعنوان "الحقائق الصعبة عن الفقر[٤]"

عدد الذين يعيشون في مجاعة مستمرة في العالم ٩٦٣ مليون.

عدد الوفيات من الأطفال يوميا بسبب الفقر ٣٠٠ ألف طفل تقريبا

عدد الذين لا يجدون ماءً نظيفاً في العالم ١,١ مليار.

- عدد الوفيات سنويا بسبب المياه الملوثة ٥ مليون، منهم ١,٨ مليون طفل.

٣) حسب الإحصاءات الأخيرة لعام ٢٠٠٨م هناك حوالي ١,٤ مليار شخص في الدول النامية (واحدة من كل أربعة في العالم) معدل دخله أقل من ١,٢٥ دولار في اليوم[٥].

٤) حسب الإحصائيات الحديثة لليونيسيف هناك حوالي ١٤٣- ٢١٠ مليون يتيم في العالم، كل يوم هناك حوالي ٥،٧٦٠ يتيم، في كل عام هناك حوالي ٢,١٠٢,٤٠٠ يتيم في أفريقيا وحدها، وكل ١٥ ثانية هناك يتيم في أفريقيا من ضحايا الإيدز[٦] .

---

[٤] http://www.worldvision.ca/GetInvolved/Youth-Action-Zone/Pages/hard-facts-on-poverty.aspx

[٥] http://web.worldbank.org/WBSITE/EXTERNAL/TOPICS/EXTPOVERTY/EXTPA/0,,contentMDK:20153855~menuPK:435040~pagePK:148956~piPK:216618~theSitePK:430367,00.html

[٦] UNICEF's Childhood Under Threat: the State of the World's Children, 2005 ; www.unicef.org/uniteforchildren/

٥) نشرت مجلة المجتمع الكويتية (في العدد رقم ١٨٤٦ الصادر من ٩- ١٢ ربيع الآخر ١٤٣٠ / ٤- ٢٠٠٩/٤/١٠م، ص١٢- ١٣) أن هناك خمسة منظمات دولية ومنها اليونيسيف ذكرت أن: "ضحايا الاحتلال الأمريكي والعنف الداخلي والاغتيال المذهبي قد خلَّف وراء ٥٨ ملايين من اليتامى والمشردين والأرامل حتى سنة ٢٠٠٧م، وأفادت التقارير أن عدد الأيتام خمسة ملايين وسبعمائة ألف طفل، وعدد الأرامل ثلاثة ملايين أرملة، ولا تتكفل الحكومة إلا بـ (٨٣,٠٠٠ أرملة فقط) يتسلمن راتب الحماية الاجتماعية البالغ ٥٠ دولارًا شهريا، أي بمعدل ١٢ دولارًا لكل طفل شهريًا، ولقد أفادت التقارير أن كثيرا من هؤلاء الأرامل متسولات في الشوارع، وأن كثيرًا من هؤلاء الأطفال الأيتام مشردون بلا مأوى، يبحثون في القمامة عن كسرة الخبز".

من هذه الأدلة الشرعية والواقعية أنتهي إلى وجوب تأسيس جمعيات وهيئات تحض على طعام المسكين حتى نكون أولا آدميين نستشعر آلام ذوي المسغبة من الفقراء والأيتام والمحتاجين وننجو من العذاب الأليم والوثاق الشديد في قعر جهنم . ولعلنا إن قمنا بهذا الواجب ينادى علينا يوم القيامة: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ.... جَنَّتِي} .

المنهجية العاشرة

الاستعداد قبل يوم المعاد { يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}

تختم السورة بهذا المشهد المزدوج بين الترويع من عذاب الله والترغيب في رضا الله والجنة، عندما يرى المسلم بقلب مفعم بالإيمان : كيف أن كل هذا الحطام على وجه الأرض قد دكَّه الله دكًّا ، وجاء أمر ربنا والملك صفًّا صفًّا، وجئ بجهنم في وجه الخلق، حينئذ تخرج الحسرات وتشتد الأنات وتعود الذكريات، ويهتف أصحاب الفسوق والزلات والهفوات : { يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } [الفجر : ٢٤] فيندم ولات حين مندم، ويبحث عن الخلاص ولا حين مناص، فلا يجد تلقاء وجهه إلا نار جهنم تدعُّه ملائكة الله إلى نار جهنم دعًّا، وتخطفه كلابيب جهنم خطفًا، ويشعر أن كل ما استمتع به في الحياة الفانية قد ذهب عند أول لحظة عذاب من عذاب جهنم . ووسط هذا المشهد الرهيب الذي يأخذ بمجامع القلوب يعود الإنسان ليجد نداءً علويًا مفعمًا بالرحمة والشفقة والود والحنان يناديه : أقبل ولا تخف إنك من الآمنين؛ سأبدل السيئات إلى حسنات، وأرفع لك الدرجات، وأسكنك أعلى الجنات، بهذه الكلمات التي تمسح على قلوب المؤمنين والمؤمنات : { يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ % ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً % فَادْخُلِي فِي عِبَادِي % وَادْخُلِي جَنَّتِي } [الفجر :٢٧:٣٠] ، فيخرج المسلم أو المسلمة أصحاب العقول الذكية، والقلوب النقية، والإرادة الفتية يبحثون أين الطريق إلى جنات الخلود، فيجدون أول السورة تناديهم : { وَالْفَجْرِ % وَلَيَالٍ عَشْرٍ % وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ % وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ } [الفجر:١: ٤] ليبدأ كلٌ طريقه من صلاة الفجر وقيام الليل وامتلاك ناصية الهوى ومقاومة الظلم والطغيان والوصول إلى الرضا بالله وعن الله، في القبض والبسط،

والسعة والقلة، والتجرد من شهوة امتلاك المال الحرام، والمسارعة إلى البذل والإنفاق وحض الناس عليه، ليتحول فعل الخير ونفع الغير من مبادرات فردية إلى مؤسسات اجتماعية، ويكون هذا خير استعداد ليوم المعاد.

ومن الوسائل العملية التي تعين على الاستعداد ليوم المعاد ما يلي:

١. ذكر الموت وسكراته، وفجأته وتبعاته، والكفن وب ساطته، والقبر وظلمته، وسؤال الملكين ودقته، والحشر وشدته، والنشر وحيرته، والعرض وهيبته وال صراط ودقته، وجهنَّ م وسعيرها، وحرها ولهيبها وزقومها وغسلينها وسلاسلها ومقامعها وسرادقها وقيحها وصديدها وسوادها وظلمتها وحسرتها وندمها، ثم نذكر الجنات واقترابها، طيبةً و باردًا شرابها، واسعة ممتدة أطرافها، سامقة عالية مقامها، دانية رخيَّة ثمارها، طرية شهية طعامها، وفيرة منعمة فراشها، جميلة رائعة حورها، سخية ندية ترحابها، منيرة وضيئة أنوارها، نقية طاهرة مجالسها.

٢. تثبيت الورد القرآني اليومي للحفاظ على القلب شفافا نقيا صافيا خ اليا من الصدأ الذي يعتريه مع فتن هذه الحياة، كما جاء في الحديث الذي أورده الجلال السيوطي عن ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عن النبيِّ ρ: «إِنَّ ه ذِهِ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ إِذَا أَصَابَهُ الْمَاءُ، قِيلَ: وَمَا جَلاَؤُهَا ؟ قَالَ: كَ ثْرَةُ ذِكْرِ الْمَوْتِ، وَتِلاَوَةُ ا لْقُرْآنِ» (جامع المسانيد والمراسيل ، الإكمال من الجامع الكبير، ١٧٩/٣)،ويستحسن ممن وجد في قلبه غفلة أو قسوة أن يعيش بعقله وقلبه ـ في ورده اليومي ـ مع الآيات التي تتعلق بالموت والبعث والنشور وأهوال يوم القيامة وشدة عذاب جهنم ووفرة نعيم الجنة ليرقَّ قلبه ويعود إلى فطرته ونقائه .

٣. تذكُّر الحديث الذي رواه مسلم بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ τ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللّهِ ρ: «حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ . وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»(صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، ١٣٨/١٧)، لتقوِّي الإنسان على عزائم الخير ومقاومة الهوى والشهوة الزائدة عما أحل الله Y.

٤. المراجعة الدائمة بين الحين والآخر لأحاديث **الرقاق أو الرقائق وألا عيش إلا عيش الآخرة والخوف والرجاء**، لعلها تنزع النفوس من الركون إلى عرض الدنيا والاستعداد للقاء الله Y.

٥. دوام التفكر في أحوال التغير التي تعتري كل شيء في هذا الكون، كما قال I: { وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَ لَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِراً} [الكهف:٤٥] ، فكل نهار يعقبه ليل، وكل صحة تعقبها أمراض، وكل شباب يعقبه شيب، وكل ورقة خضراء ترتد صفراء ثم تذبل إلى الانتهاء، وكل ري يعقبه عطش، وكل شبع يعقبه جوع، وكل حياة يعقبها موت، كما قال I: { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ % وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن : ٢٦ : ٢٧] .

٦. أن نجتهد في تحويل كل ما نملك من **الزينة الفانية إلى القيمة الباقية** ، فالأجساد تبلى ويأكلها الدود إلا الشهيد، فلتكن الشهادة مطلبًا حيًا فاعلًا في حياتنا، وليس لنا من مالنا إلا ما أكلنا فأفنينا، أو لبسنا فأبلينا، أو تصدقنا فأبقينا، وآفة العلم الترك، فإن تبع العلم عملٌ ودعوة إلى الله صار علمًا متجددًا عبر الزمان والمكان يبقى أثره ويعظم خيره بعد وفاة الإنسان، و تتحول

الدور والقصور من العمارة إلى الخراب إلا أن تكون كما قال I: { وَاجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً }[يونس : ٨٧]، يغشاها الأهل والأقارب والأصحاب، يجتمعون على أذكار وقرآن وتعلم ودعوة وبر وتواصل ابتغاء وجه الله، وستبقى الدور شاهدة للإنسان يوم القيامة . وفي الأسفار والتجوال في الأرض فناء للأعمار إلا أن تكون كما قال الله I: { وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ } [الزخرف : ٢٨] ، فيترك في كل مكان بصمة من الخير في كل أرض، وبسمة من الفرحة في كل وجه، ونسمة من النور في كل نجع، لتكون هذه صدقات جاريةً تشهد له يوم القيامة، و تفنى سياراتنا ومراكبنا أو تفنينا لكنها تظ ل باقية عند الله بقدر ما أسرعت بنا إلى بيوت الله، وهرعت بنا إلى نجدة عباد الله، وحملتنا إلى صلة الأرحام، والبر بالأقارب والأهل والجيران، وغدونا بها إلى حلق العلم والذكر، ومساندة المشاريع الخيرية في أي مكان.

٧. من أراد استعدادًا عمليًا دون حاجة إلى أدنى شرح قولي فليجاهد نفسه في حملها على هذه القيم الأخلاقية التي جاءت في الحديث النبوي الشجي الندي القوي الذي رواه الإمام أحمد بسنده عن عبادة بن الصامت τ أن النبي ρ قال: " اضمنوا لي ستا من أنفسكم ؛ أضمن لكم الجنة : اصدقوا إذا حدثتم ، وأوفوا إذا وعدتم ، وأدوا إذا ائتمنتم ، واحفظوا فروجكم ، وغضوا أبصاركم وكفوا أيديكم " (مسند أحمد، ٥/٢١٦٩٥).

٨. ثمة أحاديث أخرى وإن كان سندها ضعيفًا لأنها مرسلة لكن ما جاء في المتن مما تشهد له نصوص صحيحة صريحة في وجوب أو استحباب الأخذ والعمل بها، ومن ذلك ما أورده الإمام الغزالي حجة الإسلام في "إحياء علوم الدين " بتخريج الحافظ العراقي،

(ص ٤٦٦/١)، أن النبي ρ قال لأبي ذر τ: "إذا أردت سفرا أعددت له عدة ؟ قال : نعم ، قال : فكيف بسفر طريق القيامة، ألا أنبئك يا أبا ذر بما ينفعك ذلك اليوم ؟ قال: بلى بأبي أنت وأمي ، قال : صم يوما شديد الحر ليوم النشو ر، وصلِّ ركعتين في ظلمة الليل لوحشة القبور، وحجّ حَ جَّ ة لعظائم الأمور ، وتصدق بصدقة على مسكين ، أو كلمة حق تقولها ، أو كلمة شر تسكت عنها ". هل في مثل هذه الأحاديث من خفاء يقعد العقل والقلب والجسم عن النهوض بالاستعداد بهذه الواجبات والمندوبات التربوية العملية؟ نحن بحق في حاجة أن نصدق الله، وأن نَغُذَّ السير إليه.

٩. أن نتذكر دائما هذا الحديث الذي أورده المنذري عن الحاكم بسند صحيح عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قالَ : قالَ رَسُولُ اللّهِ ρ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ : «اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شَغْلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ »(الترغيب والترهيب، للمنذري، كتاب التوبة والزهد، باب الترغيب في ذكر الموت وقصر الأمل والمبادرة بالعمل، ١٢٥/٤، رواه الحاكم وقا ل: صحيح على شرطهما)، وهو يحيي في القلب الخوف من الفقد، أن يفقد حيوية الشباب والصحة والعافية والمال والفراغ بل الحياة كلها قبل أن يقدم لآخرته ما يبقى لا يفنى، ويزداد ولا ينقص، ويتضاعف ولا يتراجع، لأنها التجارة مع الله، وهي أبدا لن تبور..

إن خواتيم سورة الفج ر تنادينا فهل من مجيب؟! إنها الجنة سلعة الله الغالية.. إنه الرضا منحة الله الكاملة: { رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً } [الكهف : ١٠] ، واصنعنا على عينك حتى نكون أهلا لرضاك والجنة.

المنهجية الحادية عشر: أحكام التجويد تثري المعاني.

هناك معان تقفز إلى ذهني عندما أقرأ القرآن مترنماً بروعة أحكام التجويد وسياقاته، وتجعلني أشعر أن هناك ثراءً مع كل حرف أو نغم أو قلقلة أو مد، بل إن الفتحة والكسرة أحيانا أرى فيها بعض المعاني الجديدة و هذه الاستنباطات قد تكون صحيحة أو غير صحيحة لكني أرجو اعتبارها إن وافقت الفطرة الصحيحة والحس اللغوي الراقي، والوعي برسالة القرآن الكريم.

من هذه المعاني التي يمكن استنباطها من حروف وكلمات وسياق الآيات ما يلي:

(١) كلمة {وَالْفَجْرِ} ليس فيها مدٌ لأن وقته محدود، بل هو أقصر الأوقات، لكن كلمة {وَلَيَالٍ}فيها مد لأنها مجموعة ليال، والليل أطول طبعا من وقت الفجر ولعل أطول الأوقات هو العشاء فمع المد تستطيع أن تدرك أن وقتها أطول من وقت المغرب والفجر اللذين يخلوان من المد، وهو يشبه أيضا كلمة { الأَرْضِ } التي ليس فيها مد لكن {السَّمَاءِ } و{الْمَاء } فيهما م دود لأن حجم الماء ٥/٤ الأرض، والسماء أطول وأعرض وأكبر من الأرض بما لا يقارن.

(٢) لقد جاءت كل الكلمات مكسورة دون مدٍّ قبل نهاية كل حرف، في أواخر الآيات الأوُل : {وَالْفَجْرِ ، عَشْرٍ ، يَسْرِ ، حِجْرٍ } . أما عندما دخل على الأمم الطاغية، فرغم أن جميع الكلمات جاءت مكسورة أيضا { بِعَادٍ ، الْعِمَادِ ، الْبِلَادِ ، بِالْوَادِ ، الْأَوْتَادِ ، الْفَسَادَ ، عَذَابٍ ، لَبِالْمِرْصَادِ}فقد جاء المد العارض للسكون في كل كلمة ليدل على حالة الانفلات والاستكبار فكان الجزاء من جنس العمل {عَذَابٍ } و { لَبِالْمِرْصَادِ } مد عارض للسكون بالإضافة إلى تفخيم الراء والصاد ليدل على شدة العذاب وقوته وهوله.

(٣) كلمتا {الْيَتِيمَ} و { الْمِسْكِينِ } جاءتا وحيدتين في السورة تنتهي بالكسرة الطويلة "مد بالياء " ثم حرف الميم في اليتيم، والنون في المسكين وهما من الحروف اللينة لا الصلبة، وهذا قد يشير إلى حالة البؤس وانكسار النفس بسبب اليتم أو الفقر والحاجة.

(٤) الفتحتان في آخر كلمتي { أَكْلاً} { لَّمّاً }يدل على انفتاح الشهوة لدى كثير من البشر في الحب المفرط للمال، فعبَّرت عنه الآية بالفتحتين وليست فتحة واحدة مع ألف المد مما يدل أنه حب لا حدود له، والكل متان { لَّمّا } و { جَمّا } مع الغنة يدل على حالة النشوة والاسترواح بهذا الحب والجنوح في جمع المال، لكن عندما تأتي إلى { دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً } الدال والكاف حرفان انفجاريان يوحيان أن هناك اضطرابًا وطرقًا عنيفًا يحكيه حرفا الدال والكاف، وتشديد حرف الكاف ثلاث مرات، وتكرار الدال يوحي بحركات غير محدودة تجهز على كل صور استقرار هذه الأرض.

ويتضح الفرق جليا عندما نأتي إلى الآية بعدها في كلمة{صَفّاً صَفّاً }المفتوحة أيضا والمكررة واستعمال الصاد مع الفاء فهي حروف كلها مهموسة، ففي هدوء يتم هذا النظام بين م لائكة الله Y .

(٥) هناك فارق بين { وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ } و { وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ } لأن البناء للفاعل يعود إلى الله Y و بيده مقاليد كل شيء، والملائكة تتحرك بأمره فصارت الإرادة كاملة بيد رب العزة Y، أما جهنم فلا تملك حركة ذاتية، وأكثر من هذا جا ء

بالمد الواجب للجيم لمجيء الألف بعدها وبعده همز يدل على الرفعة والعظمة والقوة وأنه Y ذو الطول لا إله إلا هو إليه المصير، أما جهنم فقد جيء بها بالكسر الذي يدل على مهانة من ستلقاه من العصاة .

(٦) تكرار الغنة مرتين بالنون في مشهد لم يتكرر في السورة كلها جاء فقط في قوله I: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ }[الفجر : ٢٧]

وهو يوحي بسعة الراحة، وتمام السعادة، وقمة النشوة بنعمة الله Y برضاه عنها.

المنهجية الثانية عشر: العناية الربانية.

إذا كانت هناك عناية بالخلق أجمعين، فعندي يقين راسخ أن هناك عناية خاصة ب الربانيين وهؤلاء تنزل عليهم هذه العناية بردًا وسلامًا ورحمةً ونورًا وعزًا وتمكينًا ويسرًا وتكريمًا إذا قاموا بواجبين:

أولا: الواجب التربوي وميدانه إصلاح النفس لتحمل صبغة الله، كما قال I: { صِبْغَةَ اللّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدونَ} [البقرة : ١٣٨] بتحويل كل آية إلى معنى تربوي عملي يجب أن تتغير النفس إليه.

ثانيا: الواجب الدعوي وميدانه إصلاح الأسرة والمجتمع والوطن والأمة والعالم كله وفق منهج القرآن الكريم، كما قال I:{ أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ }[الأنعام : ١٢٢] .

فإذا حدث هذان الأمران، وجعلنا من كل آية درسًا عمليًا لنا ولمن حولنا، كما قال I: { لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا }[الشورى : ٧] ، فإننا على يقين أن العناية الربانية سوف تتنزل علينا.

وإذا كنتُ ق د فصَّلت في تأصيل هذه المنهجية في كتابي : "سورة الكهف .. منهجيات في الإصلاح والتغيير "في المنهجية الرابعة عشر، وتطبيقها على كل آيات سورة الكهف، فإنني هنا أعيد تطبيق هذه المنهجية على سورة الفجر آية آية، كما هو موضح في الجدول التالي:

المنهجية الثانية عشر: العناية الربانية			
الآية	**الدرس التربوي**	**الدرس الدعوي**	**العناية الربانية**
(وَالْفَجْرِ) (1)	▪ تثبيت صلاة الفجر في المسجد للرجال وجماعة في البيت (الزوجة والأطفال).	▪ ترغيب كل من حولنا في صلاة الفجر وتعاهدهم بإيقاظهم سواء بالتليفون أو المرور عليهم لإعانتهم على أنف سهم والصراع مع الشيطان الذي يبول في أذن الإنسان كي يبعده عن رحمة ربه المنان.	▪ أول السورة (وَالْفَجْرِ)وآخرها (جَنَّتِي) فمن صلى الفجر أدركته العناية الربانية لتدخله الجنة. ▪ أورد الجلال السيوطي أن سمرةَ τ قَالَ: قال النَّبِيُّ ρ:«مَنْ صَلَّىٰ الْفَجْرَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ، فَلاَ يَطْلُبَنَّكُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِنْ ذِمَّتِهِ » (جامع المسانيد والمراسيل، حرف الميم، ٥٣/٧، صحيح). ▪ روى مسلم بسنده عَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ρ، قَالَ: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»(صحيح مسلم، كتا ب صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر والحث عليها، ٥/٦). ▪ (وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً)[الإسراء:٧٨] ▪ روى الترمذي بسنده عن بُرَيْدَةَ الأسْلَمِيِّ ، عن النَّبِيِّ ρ قَالَ: «بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »(سنن الترمذي، كتاب الصلاة، باب ما جاء في فضل العشاء والفجر، ١٣/٢، قَالَ أَبُو عيسَى: هٰذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ (مِنْ هَذَا الْوَجْهِ) (مَرْفُوعٌ، هُوَ صَحِيحٌ مُسْنَدٌ وَمَوْقُوفٌ إِلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ، وَلَمْ يُسْنَدْ إِلَى النَّبِيِّ). ▪ تسجل الملائكة أسماءنا في سجل القوامين لله Y. ▪ تنسم العبير الصافي ينعش الجسد والعقل والوجدان.
(وَلَيَالِ عَشْرٍ) (2)	▪ الاستعداد للاعتكاف في الليالي العشر		▪ مضاعفة الحسنات فليلة القدر خير من ألف

	الأواخر من رمضان تلمسًا لليلة القدر، أو الأوائل لذي الحجة تعرضًا لرحمات الله ، والحد الأدنى الاعتكاف في الوتر من العشر الأواخر، واعتكاف يوم عرفة مع الصيام لغير الحاج، وأما الحجاج فيفرغون قلوبهم لله ويعتكفون ويطوفون في بيت الله الحرام ويبتهلون بالدعاء يوم عرفة.	▪ جذب أسرنا وأصدقائنا المترددين في التعرض لرحمات الله في هذه الليالي العشر ببيان فضلها وحاجة عباد الله إلى تعريض أنفسهم لرحماتها وخيراتها واصطحابهم معنا إلى بيوت الله.	شهر. "مَا الْعَمَلُ فِي اَيَّامِ العشرِ اَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ فِي هَذِهِ ". قَالُوا وَلاَ الْجِهَادُ قَالَ " وَلاَ الْجِهَادُ، اِلاَّ رَجُلٌ خَرَجَ يُخَاطِرُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ فَلَمْ يَرْجِعْ بِشَىْءٍ ". (صحيح البخاري، كتاب العيدين، باب فَضْلِ الْعَمَلِ فِي اَيَّامِ التَّشْرِيقِ، رقم ٧٧٩).
(وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ) (3)	▪ تثبيت صلاة الشفع والوتر قبل النوم أو قبل الفجر في نهاية التهجد. ▪ اليقين بوحدانية الخالق وزوجية المخلوقات.	▪ حث الأولاد والأهل على عدم ترك صلاة الشفع والوتر. ▪ تأكيد وحدانية الخالق واستغنائه عن الخلق، وزوجية المخلوقات ومسيس حاجتهم لبعض ذكرًا وأنثى، سالبًا وموجبًا، ومقاومة الفردية والأنانية والانعزالية والشذوذ الجنسي.	▪ وحدانية الخالق تحفظ للكون نظامه : (لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ)[الأنبياء:٢٢]. ▪ تأتي مع الحياة الزوجية الرائقة المودة والرحمة والتناسل والتناسق والتعاون.
(وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ) (4)	▪ استثمار الليل في طيب الخلوة مع الله في القيام والتهجد وقراءة القرآن وصدقة السر وإصلاح ذات البين ومدارسة العلم وحراسة الثغور والرباط في سبيل الله، والنوم على وضوء وذكر الله.	▪ الدعوة الفردية والجماعية لإعادة استثمار الليل ليكون بحق ليل العابدين لا العابثين. ▪ رحلة مع الأصدقاء لزيارة القبة السماوية ورؤية الاكتشافات الفلكية الدالة على كمال وتمام القدرة الإلهية وألوان الجمال الربانية.	▪ أن ينال العبد الزلفى إلى الله: (وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً)[الإسراء:٧٩]. ▪ أورد الهيثمي أ ن سهلِ بنَ سعدٍ قالَ : جاءَ جِبْرَائِيلُ إِلى النبيِّ ρ فقالَ: «يا محمدُ عِشْ مَا شِئْتَ، فإنَّكَ مَيِّتٌ، واعْمَلْ مَا شِئْتَ فَّإنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَّإنَّكَ مُفَارِقُ ه، واعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ المُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وعِزُّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ»(مجمع الزوائد ، كتاب الصلاة، باب صلاة الليل،٥٢٢/٢). ▪ الدعاء في السحر مظنة إجابة الدعوات وتفريج الأزمات. ▪ لما رواه الترمذي بسنده عن ابنِ عباسٍ ، قال : سَمِعْتُ رسولَ الله ρ يقول: «عَيْنَانِ لا تَمسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحرُسُ في سبيلِ الله » (سنن الترمذي، كتاب

			فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل الحرس في سبيل الله، ٢١٦/٥، حديثٌ حسنٌ غريب).
(هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ) (5)	▪ التدرب والتدرج على مجاهدة النفس وكبح الهوى عن طريق العقل المتشبع بالوحي الرباني والهدي النبوي.	▪ التأكيد على معنى أن العلم يزيل الشبهات، أما المجاهدة فتعالج الشهوات، والعقل هو وعاء العلم وزمام المجاهدة.	▪ روى البخاري بسنده عن أبي هريرةَ τ أنَّ رسولَ الله ρ قال: «ليس الشديدُ بالصّرَعة، إنما الشديدُ الذي يملكُ نفسَه عندَ الغضب ». (صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ١٤٨/١٢). ▪ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) [العنكبوت:٦٩]. ▪ ما حجر أو منع عبد هواه عن شيء حرمه الله إلا ناله في الحلال أو عوضه الله بخير منه.
(أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ) (6)	▪ يجب أن ندرس قصص الأولين، وتاريخ السابقين بعناية فائقة ودراية وثيقة حتى كأننا نراهم بعقولنا وأعيننا.	▪ إحياء تدريس قصص الأنبياء في البيوت والمساجد والمدارس والإذاعات والفضائيات، وتبسيطها وتشويقها إلى عباد الله.	▪ (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ) [يوسف:١١١]. ▪ أن يُبصرنا الله بخطايا السابقين فنتجنبها.
(إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ) (7)	▪ حمل النفس على بساطة العيش وا لزهد في زخرف الحياة وعدم الافتخار بها والتطاول على عباد الله.	▪ تذكير ذوي الدثور والعمارات والقصور بأنها إلى زوال وهلاك ما لم نحفظها بطاعة الله.	▪ الدعوة إلى تحويل الزينة الفانية في الدنيا إلى القيمة الباقية في الآخرة، أورد الجلال السيوطي أن أوس بن خولي قَالَ: قال النَّبِيُّ ρ: «مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ »(جامع المسانيد والمراسيل، الإكمال من الجامع الكبير، ١٧٥/٧، ..).
(الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ) (8)	▪ اليقين أن هناك ألوانا من الحضارة بالأمس البعيد لم تتكرر في واقعنا رغم التقدم التكنولوجي والحضاري فأهلكهم الله بذنوبهم. ▪ عدم الانبهار بالاكتشافات العصرية.	▪ تخويف ذوي الحضارة والتقدم من تدمير الله لهم إذا أعرضوا عنه وتركوا نهجه.	▪ (وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) [النحل:٥٣]، فالخلق منه، وتن سيقه بقدرته، وإهلاكه بقهره وبيده.
(وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ) (9)	▪ دراسة جوانب النبوغ في كل أمة وكيف تعاملوا مع نِعم الله للتذكر والتدبر والاعتبار.	▪ دعوة ذوي الأبنية الضخمة والبيوتات الفخمة إلى تذكر ما حل بقوم ثمود بإعراضهم عن الله تعالى.	▪ يعطي الله القوة للإنسان أن ينحت في الصخر لعله أن يستثمرها في فعل الخير ونفع الغير فإن فعل غير ذلك أهلكه الله ودمر كل أبنيتهم.
(وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ) (10)	▪ تجب دراسة الظاهرة الفرعونية في الآيات القرآنية وأوضاعنا الحالية وربط الماضي	▪ تذكير فراعنة هذا الزمان وأعوانهم ومن يسعون إلى استرضائهم والتقرب	▪ كل علو في الأرض إلى فناء وكل علو في

	بالحاضر. ▪ يجب أن ينأى المسلم بنفسه أن يكون وتدًا وعونًا ونصيرًا لأي فرعون مهما كان بريق ذهبه وحدة سيفه، فالله أعلى وأجل. ▪ اليقين بأن: "لكل فرعون موسى".	إليهم بمصير فرعون مصر لعلهم يتذكرون أو يخشون الله فيقولون: (لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) [طه:٧٢].	السماء إلى بقاء.
(الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ) (11)	▪ مراجعة التوازن في حياة الإنسان، فلا يطغى الجانب الروحي على العقلي أو الجسدي على بقية الجوانب، ولا يطغى العمل على حق الأسرة، أو تطغى الأسرة على حق الأمة، ولا يطغى غني على فقير، أو فقير على غني، ولا حاكم على محكوم أو محكوم على حاكم، ولا يطغى جيل على آخر. ▪ دراسة شخصيات الأنبياء والصحابة والقادة المسلمين الذين حققوا التوازن في حياتهم والاقتداء بهم.	▪ الإكثار من الحديث عن التوازن في حياة المسلم. ▪ دعوة إلى التوازن مع ذكر الأمثلة المتوازنة من تاريخنا الإسلامي وواقعنا المعاصر. ▪ يحتاج جميع الدعاة إلى مراجعة أنفسهم في قضية التوازن.	▪ من عناية الله تعالى أن عينه لا تنام عن الطغاة والمفسدين بل يستدرجون إلى العذاب المهين.
(فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ) (12)	▪ مراجعة مادة "فسد" في القرآن الكريم، ومراجعة النفس ومجاهدتها إن كانت تحمل صفة من صفات المفسدين حتى تتم التخلية الكاملة عن كل أسباب الفساد.	▪ لا حرج على الداعية أن يذكر المفسدين وجوانب فسادهم متخذًا منهج القرآن في التعفف عن اللغة الرديئة، والترفع عن الإسفاف، والتركيز على ذكر وجوه الفساد وجموع المفسدين.	▪ من رحمة الله بالعباد أن يقسم ظهور المفسدين، ويبارك جهود المصلحين.
(فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ) (13)	▪ قلب المؤمن بين جناحي طائر فرقًا وخوفًا أن يكون حاملاً صفة من صفات الطغيان والفساد فينزل عليه سوط عذاب.	▪ تخويف قومنا وعشيرتنا والعالم من حولنا من عاقبة الطغيان والفساد أن يصب عليهم العذاب.	▪ قهر وإهلاك الظالمين شفاء ورحمة للمستضعفين.
(إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ) (14)	▪ ملاحظة القوانين الربانية التي تؤكد أن ما حدث للأمم السابقة يدخل تحت دائرة القوانين الربانية في إهلاك الطغاة وقطع دابر الظالمين، بما يعمق اليقين بأن الله ناصر المؤمنين ومخزي الظالمين.	▪ تذكير الناس بهذه القوانين الربانية في إهلاك الظالمين وذكر الأمثلة على مستوى الفرد والأسرة والمجتمع والدولة (مثل: قارون، والأبناء البخلاء في سورة القلم، ومملكة سبأ وعاد وثمود وفرعون).	▪ مهما استأسد الظالمون فربنا القهار لهم بالمرصاد واليقين به أحد أسباب القوة لدى المؤمنين.
(فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ) (15)	▪ تذكير النفس بأن كل عطاء فيه ابتلاء (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) [الأنبياء:٣٥]. ▪ الإكثار من الشك ر والذكر والحمد قولاً وعملاً. ▪ تسخير النِعم في رضا المنعم سبحانه.	▪ تذكير الناس القريب والبعيد، المؤمن والكافر بكمال النِعم وتمام المنن من الله على عباده وترغيبهم في الذكر والشكر والحمد، وترهيبهم من عاقبة كفر النِعم وتصريفها فيما يغضب المنعم سبحانه.	▪ (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) [إبراهيم:٧].

(وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ) (16)	▪ تذكر أن قلة عَرَض الدنيا ليس فيه امتهان للإنسان وإنم ا الامتهان بمعصية الخالق وكفر النعم. ▪ تذكر قوله تعالى :(وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ)[الحج:١٨]..	▪ تذكير الناس بالصبر الجميل والقبول الحسن والإيمان بالقدر خيره وشره.	▪ إذا زرق العبد الفهم في المنع عاد المنع عين العطاء. ▪ في قلة الأرزاق لبعض الناس عصمة من الفتن، وتهيئة لثواب المحن، وإعداد لرجال الإصلاح والتغيير وتمحيص للمؤمنين وتعويد على الصبر عسى أن يدخل العبد أو الأَمَة الجنة بغير حساب.
(كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) (17)	▪ الحرص على أن تكون كفالة الأيتا م مخالطة لهم وتلبية احتياجاتهم جزءًا من حياة الإنسان صاحب السير إلى الرحمن.	▪ تذكير كل من حولنا بأن كفالة الأيتام وإكرامهم هو أقرب طريق إلى رضا الله والجنة ومرافقة الحبيب ε في الفردوس الأعلى من الجنة.	▪ روى أبو دواد بسنده عن أبي عن سَهْلٍ : "أَنّ النّبيّ ρ قالَ: «أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ، وَقَرَنَ بَيْنَ أَصْبِعَيْهِ الْوُسْطَى وَالَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ» (سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في من ضم اليتيم، ٦٠/١٤). ▪ إكرام الأيتام يستنزل سعة الأرزاق على الأولاد والأحفاد.
(وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ) (18)	▪ يجب السعي بكل قوة لحث وحض الأغنياء على كفالة الفقراء إذ لا يكفي مجرد العطاء.	▪ تحويل العمل الخيري من العطاء الفردي إلى الغطاء المؤسسي حتى تحصل الكفاية والاستمرار في كفالة ورعاية الفقراء والمساكين وذوي الاحتياجات الخاصة.	▪ الدال على الخير كفاعله وفي الحظ على الإطعام مضاعفة الحسنات وتكفير السيئات ورفع الدرجات.
(وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا) (19)	▪ التورع عن القليل والكثير، النقير والقطمير، في أكل واستحلال أي قدر من الميراث. ▪ المبادرة إلى توزيع التركة فور انتهاء العزاء، والتزام العدل وبذل الفضل في التوزيع، والتسامح في التخارج والتصالح عند توزيع التركة، ورفع الحرج عن أحد الورثة بالمطالبة بحقه فيعطى الحق قبل أن يحمر وجهه في طلبه.	▪ أن يُذكر الدعاة أهل الميت في المبادرة إلى إنفاذ الوصايا وتوزيع التركة واسترضاء جميع الورثة وج مع الكلمة وأن تعلو قيمة العدل على هوى حب المال والرغبة في الاستحواذ، وأن تعلو قيمة بذل الفضل والارتقاء إلى الإحسان وصلة ذوي الأرحام على هوى الأنانية والأثرة.	▪ سعة القلب، وهدوء النفس، وزيادة البركة، مع التزام العدل، وبذل الفضل في توزيع التركة وتقسيم الميراث.
(وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا) (20)	▪ مجاهدة النفس ليكون حب الله تعالى ورسوله والجهاد بالنفس والمال والإحسان إلى الفقراء والأيتام والإهداء إلى الأصدقاء والأقارب والجيران والأرحام أحب إلينا من حطام الدنيا جميعا .	▪ ترغيب الناس في حب الله ورسوله والمؤمنين حتى يكون المال خادمًا لهذا الحب الكبير في فعل الخير ونفع الغير ليبقى الإنسان عابدًا لله منفقًا المال فيما يرضي الله تعالى.	▪ روى البخاري بسنده عن أبي هُريرةَ ρ أنَّ النبيَّ ρ قال: «ما مِن يومٍ يُصبحُ العِبادُ فيه إلاَّ مَلَكانِ يَنزِلانِ فيقولُ أحدُهما : اللَّهمَّ أعطِ مُنفِقاً خَلَفا، ويَقولُ الآخَرُ : اللّهمَّ أعطِ مُمسِكاً تلَفاً»(صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قوله I فأما من أعطى ..، ٥٨/٤). ▪ (وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ≅ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى

			≅ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَى ≅ إِلَّا ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ≅ وَلَسَوْفَ يَرْضَى) [الليل:١٧-٢١]. أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال المال إن أودى أحتال فأجمعه ولست للعرض إن أودى بمحتال
(كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا) (21)	▪ جمع الآيات عن "الأرض" في القرآن الكريم سواء كانت نصًا صريحًا أو ضميرًا ظاهرًا أو مستترًا، ودراسة هذه الآيات لمعرفة الأرض تاريخ بدء الأرض إلى عمارتها، ثم دكها وزلزالها وتبديلها ليعيش عليها موقنًا بأنها إلى زوال وتبقى شاهدة للإنسان أو عليه حيث تأتي يوم القيامة تُحدث بكل أخبارها أي ما جرى عليها. ▪ ألا ندع أرضًا ننزل إليها إلا ذكرنا الله عليها وصلينا على النبي ε فيها. ▪ معايشة أهوال يوم القيامة لتعظيم الخوف من الجليل والاستعداد ليوم الرحيل.	▪ تذكير الناس بحقيقة الأرض خلقًا وعمارة وانتهاءً وأن كل ما عليها حطام : (كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ≅ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ) [الرحمن:٢٦,٢٧].	▪ هذه الأرض ليست جمادًا لا يحس، بل تبكي لفراق الصالحين عليها، بعد أن منحتهم من بركاتها، وإذا عصوا الله عليها لا تريحهم في الحياة ولا تبكي عليهم عند الوفاة ، وتندكُ به م يوم القيامة وتشهد عليهم عند العرض والحساب ، لقوله تعالى: : (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) (الدخان:٢٩).
(وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا) (22)	▪ تذكر جلال الموقف يوم القيامة عندما يأتي ربنا وملائكته مصطف ين أمامه ينتظرون عباد الله ليحاسبهم على ما قدموا. ▪ الحياء من لقاء الله تعالى.	▪ دعوة الناس إلى معايشة هذا المشهد الجليل عندما يأتي ربنا ومعه ملائكته في نظام دقيق ليقابل المحسن بالجنان، والمخطئ بالغفران، والمجرم بالنيران.	▪ من أعظم النعم على المحبين لله أن يروا ربهم يوم القيامة كما يرون القمر.
(وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) (23)	▪ كلما قسى القلب احتجنا إلى تليينه بجمع آيات العذاب وحر جهنم، وزقومها، وغسلينها، وحياتها، وعقاربها، وسلاسلها، ومقامعها، ولهيبها، وزمهريرها، ثم نقرأ الآيات تلاوة بصوت خاشع، وقلب خاضع، وعقل حاضر، فسيعود ذلك على القلب بالرقة والشفافية. ▪ فلنكن مثل عمر بن عبد العزيز كان يرقق قلبه بآية واحدة يرددها طوال الليل في قيامه، وهي قوله تعالى: (قُلْ إِنِّيَ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ)[الأنعام:١٥]، حتى	▪ تذكير من حولنا بآيات العذاب وشدة حر جهنم. ▪ قراءة صفات الجنة والنار في كتاب المنتقى من الترغيب والترهيب. ▪ إرسال رسائل على التليفون والبريد الإلكتروني تذكر أصدقاءنا وأحبابنا بهول يوم القيامة وشدة العذاب ووسائل الوقاية من سخط الله وعذابه.	▪ عذاب جهنم هو عدل الله لردع الظالمين وشفاء لصدور قوم مؤمنين.

	يروى أنه كان يبكي حتى تبكي زوجته إشفاقًا عليه من شدة البكاء. ▪ التدريب على الخلوة مع الله تعالى مرة في الإسبوع عنوانها : (يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى) [الفجر:٢٣]، فيذكر الإنسان ما يعرف من نِعم ربه عليه ومدى تقصير العبد وغفلته وجرأته على الله تعالى، ثم نلحق التذكر بالشكر والتوبة والاستغفار ومجاهدة النفس لترقى من شوائب الهوى التي تحول بين الإنسان وربه وتقعده عن الهمة في خدمة دينه ووطنه وأمته وعالمه.		
(يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي) (24)	▪ تأكيد الاستعداد للدار الآخرة فهي الحياة الأبدية بأن يستفيد الإنسان من شبابه قبل هرمه، ومن غناه قبل فقره، ومن صحته قبل مرضه، ومن حياته قبل موته، وذلك بتثبيت أعمال الإيمان مثل : الصلاة على وقتها، وقراءة القرآن، وا لذكر، والصيام، والصدقة، والحج، وصلة الأرحام، ورعاية الفقراء والأيتام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد أعداء الإسلام.	▪ لفت نظر الناس دائما أن الحياة الدنيا زينة فانية وأن الآخرة هي القيمة الباقية، وأن الذكاء في استثمار عَرَض الدنيا للفوز في الآخرة.	▪ تذكير الله تعالى لنا بمشاهد يوم القيامة يعصمنا – إن تدبرناه – من عذاب الآخرة إن شاء الله.
(فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ) (25)	▪ إعادة تذكر شدة العذاب ولهيب جهنم وجمع الآيات والأحاديث التي توضح أسباب دخول النار حتى يتجنبها الإنسان.	▪ التذكير بأن بلاء الدنيا كله لا يساوي لحظة عذاب واحدة، فلنصبر على الطاعات وعن المحرمات وقبول الابتلاءات.	▪ من عدل الله تعالى أن من فسق عن أمر ربه، وطغى وتجبر على خلقه أن يعذبه على الأشهاد.
(وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ) (26)	▪ قراءة كتاب الكبائر للهيثمي، والشجاعة في الانتصاف من النفس، والفرار إلى الله، والتوبة من الكبائر بدلاً من أن توثقه سيئاته وثاقًا غليظًا في قعر جهنم.	▪ تكرار واستمرار تذكير الناس بعذاب ووثاق النار لعلهم أن يعودوا إلى الواحد الغفار.	▪ من العدل أن من كبَّلته سيئاته أن يوثق في نار جهنم.
(يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) (27)	▪ الإصغاء بقلب المحب إلى نداء الملك سبحانه: (يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ) واستصحاب هذا النداء في التدرج من النفس الأمارة بالسوء إلى النفس اللوامة ومنها إلى المطمئنة.	▪ توجيه الناس إلى اكتشاف أنفسهم أي الأنواع هي : أمَّارة أم لوَّامة أم مطمئنة؟	▪ إذا اجتهد العبد في مجاهدة نفسه وانتقل بها من النفس الأمارة إلى اللوامة فيوشك أن يصل إلى النفس المطمئنة.
(ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً) (28)	▪ تلبية نداء الله تعالى بحسن الرجوع والتوبة والأوبة إليه وسرعة الفرار إليه وحسن الاعتماد عليه ليصل إلى الرضا بالله وعن	▪ تذكير الناس بضرورة الرجوع إلى كلام الله تعالى وهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل ما دق وجل في	▪ من تعود الرجوع إلى الله بالاحتكام إلى شرعه والتوبة الدائمة من الذنوب والمعاصي والذكر والشكر عند البلاء

	▪ الله وإزالة كل الهموم التي تعطل عن صدق الوصال إلى الحي القيوم. ▪ تزكية حب الله Y في القلب والشوق إليه لما رواه مسلم بسنده عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ τ، أَنَّ نَبِيَّ ρ اللهِ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ . وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ»(صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب من أحب لقاء الله أحب لقائه ومن كره، ٩٠/١٧٠). ▪ تكرار التوبة هي خير دليل ع لى الرجوع إلى الله تعالى.	حياة المسلم أو المسلمة. ▪ تذكير الناس بمعنى الرضا بالله ربًا وإلها حاكمًا، ثم الرضا عن الله باستمرار الصبر والشكر على السلب والعطاء.	والعطاء هذا يؤدي إلى حصول الرضا بالقلب وتشبع النفس بحب الله تعالى.
(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي) (29)	▪ الصبر الجميل مع أصحاب الإيمان : (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)[الكهف:٢٨]، فهم القوم لا يشقى بهم جليسهم، ليكونوا سفن النجاة بين يدي الله تعالى. ▪ الابتعاد عن كل أسباب الفرقة والاختلاف حتى لا يصرفنا الشيطا ن عن الدخول في عباد الله.	▪ حث المسلمين على أن هناك خطوات أربعة للوصول إلى (فَادْخُلِي فِي عِبَادِي): ١. الالتقاء في صلاة الفجر. ٢. الانتقاء بصفوة الأصدقاء. ٣. الارتقاء على برنامج تربوي يزكي الإيمان والأخلاق. ٤. الانتشار بدعوة الله بين عباد الله.	▪ إذا أحب الله عبدًا حبب إليه أهل الهدى والتقى والعفاف والغنى، فيتعلق قلبه بالأخيار الأبرار من عباد الله.
(وَادْخُلِي جَنَّتِي) (30)	▪ تذكير النفس بأن الطريق إلى الجنة يمر عبر بوابة صلاة الفجر في جماعة وقيام الليل وامتلاك ناصية الهوى ومقاومة الطغيان والفساد في الأرض والرضا بالله وعن الله وإكرام اليتيم وإطعام المسكين والحض عليه والتعفف عن أكل التراث والاستعداد للدار الآخرة.	▪ التذكير الدائم للناس بواجبات سورة الفجر التي تفتح الطريق إلى دخول الجنة بعد رحمة الله عز وجل.	▪ (هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ) [الرحمن:٦٠]، فمن أحسن إلى نفسه ومجتمعه في الدنيا قابله ربه بالإحسان والعفو والغفران وسكنى الجنان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

المنهجية الثالثة عشر: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً }.

منذ طرحت في كتابي الوسائل العملية الخمسة لإصلاح قسوة القلوب، منهجية : {وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً } [الواقعة : ٧] بدأ ينقدح في عقلي كلما وقفت عند أية آية من القرآن الكريم أن موقف الناس منها هوَ هوَ كما قال I: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً } ، فأصحاب الشمال يرتكبون المحرمات، ويضيِّعون الواجبات، وأصحاب اليمين يبتعدون عن المحرمات ويقومون بالواجبات، أما السابقون المقربون فهم السابقون إلى الخيرات بإذن الله، يتجاوزون المحرمات ويبتعدون عن الشبهات، ويقيمون الفرائض والمندوبات، ويسعون إلى المعالي والمكرمات، ويتطلعون دائما إلى الفردوس الأعلى من الجنات، وقد قسمتُ سورة الفجر إلى خمس موضوعات وبيَّنت موقف أصحاب الشمال واليمين والمقربين من هذه الآيات. وفي الجدول التالي توضيح لهذه المفارقات:

المنهجية الثالثة عشر: {وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً}

الآية	أصحاب الشمال	أصحاب اليمين	السابقون المقربون
(١) {وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ *وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ } (١-٥)	▪ لا يُصلون الفجر ولا الصبح ، وليلهم ليل العابثين ، والعقل لا يحجر على الهوى في شيء.	▪ يُصلون الفجر حاضرًا ، وليلهم ليل العابدين ، يحرصون على الشفع والوتر ، ويلزمون أهواءهم لجام الشرع فيقومون بالفرائض الشرعية.	▪ يُصلون الفجر جماعة في المسجد، يقومون الليل ويترقبون الفرص الربانية في الليالي العشر الأُ ول من ذي الحجة أو الأخيرة من رمضان، وانقاد الطبع والهوى إلى الشرع والعقل، فصاروا من أهل الفضل وليس فقط من أهل الفرض.
(٢) {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ*إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ *الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ *وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ *وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ *الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ *فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ * إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ} (٦-١٤)	▪ لا يعتبرون بما مضى من هلاك السابقين مثل قوم عاد وثمود وفرعون المتجبرين، بل يحملون خصائصهم في الطغيان في البلاد والإكثار من الفساد.	▪ يتتبعون قصص السابقين ويعتبرون بما كان من هلاكهم بسبب ظلمهم وطغيانهم وفسادهم، فيبادرون إلى مراجعة أنفسهم حتى لا يحملوا شيئاً من خصائصهم بل يقاومون المفسدين الطغاة في الأرض ويستلهمون من الله أن يصب عليهم سوط عذاب وأن يكون لهم بالمرصاد.	يعتبرون بقصص الأولين ويبادرون إلى تحريك من حولهم ليقاوموا الظالمين والطغاة والمفسدين .
(٣) {فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ *وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ } (١٥-١٦)	إذا رزق العبد النعمة قال:{ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي }[القصص : ٧٨] ، {بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللّهِ كُفْراً وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ } [إبراهيم : ٢٨] ، وإذا ضيق عليه سخط على قدر الله Y، ويرى ذلك إهانة من الله Y .	▪ يرضون عن الله فيحمدونه في السراء والضراء، ويوقنون بأن سعة الرزق وقلته فضل وحكمة من ربهم فيحسنون التسليم والرضا عن ربهم، فهم دائما يشكرون عند النعمة الأولى ويستمرون في الشكر مع طول العطاء، ويصبرون عند الصدمة الأولى ويستمرون في الصبر مع طول البلاء.	▪ قد أحسنوا التفويض الكامل لله عز وجل حتى إنهم يشكرون الله على الضراء ويصبرون على السراء، كما قال الإمام البلخي: "نحن قوم إذا أُعطينا صبرنا، وإذا ابتُلينا شكرنا"، وشكرهم في النِعم قولي وعملي في بذل الفرض والفضل، وفي البلاء يُقتدى بهم في تمام الرضا عن ربهم.
(٤) {كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ *وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ *وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا *وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا } (١٧-٢٠)	▪ أصحاب الشمال يأكلون حق اليتيم والمسكين ولا يحضون الناس على كفالة المحتاجين وهمهم الأكبر جمع المال من حرام أو حلال وظلم الأقارب بأكل حقهم في الميراث.	▪ يكرمون اليتيم بأداء الفرض من الزكاة والمخالطة ويحضون غيرهم على بذل المال للمساكين ويوزعون الميراث على المستحقين بالعدل والقسطاس المستقيم وحبهم للمال لا يدفعهم إلى تجاوز الحلال الطيب.	▪ يستشعرون مع الأيتام والمساكين - مع غناهم – كأنهم هم الفقراء المحتاجون إلى بر ه ؤلاء ليكونوا طريقهم إلى رضا الله والجنة، فيضاعفون العطاء ويكثرون المخالطة ويذلُّون أنفسهم لهؤلاء المحتاجين ويبادرون إلى إنشاء مؤسسات خيرية تقوم لسنوات عديدة بسد حاجة الأيتام والفقراء والمساكين، كما أنهم عند توزيع الميراث يحرصون على إعطاء ذوي القربى والمساك ين الذين لا يرثون، ويبذلون

			من هذا المال صدقات جارية لمن ورثوهم ويبذلون المال كالريح المرسلة.
(٥) {كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا *وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا * وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى * يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي * فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ * وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ * يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي } (٢١-٣٠)	▪ قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة، لا يخافون عذاب الله ويستعدون ليوم الحساب، ولا يرتعدون ليوم تلك الأرض دكًا، ويأتي ربنا والملائكة صفًا صفًا، فيؤتى بهم على حافة جهنم فيندمون ويستصرخون: { يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}، وهؤلاء يشتد عليهم العذاب ويُ حكم عليهم الوثاق، ويُنادَوْن: { بُعْداً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ} [هود : ٤٤] ، ومكانهم عند الله هو ما ذكره في قوله I:{ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ (٤١) فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ (٤٢) وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ (٤٣) لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ (٤٤) إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ (٤٥) وَكَانُوا يُصِرُّونَ عَلَى الْحِنثِ الْعَظِيمِ (٤٦) وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَاباً وَعِظَاماً أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (٤٧) أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (٤٨) قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ (٤٩) لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ (٥٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ }[الواقعة : ٤١ : ٥٦]	▪ يخشون عذاب الله ويستعدون قدر وسعهم للقاء الله، لكنهم يخلطون عملاً صالحًا وآخر سيئًا ثم يتوبون ويعودون إلى ربهم، فإذا عُ رضوا للحساب عفى الله Yعنهم وتاب عليهم وأدخلهم في جنة قال عنها I: { وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ (٣٠) وَمَاء مَّسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (٣٦) عُرُباً أَتْرَاباً (٣٧) }[الواقعة : ٢٧ : ٣٧].	▪ يرتعدون خوفًا من ربهم، ويطمئنون إلى رحمة ربهم، فيحلقون في مدار السالكين بجناحي الخوف والرجاء، والأمل والعمل، وينادوْن يوم القيامة أرق نداءٍ يمسح على قلوبهم ويخفف معاناتهم ويرفع درجاتهم في أعلى عليين من الجنة: {يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً }. ▪ مقامهم عند الله Y ما ذكره I: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ (١٨) لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ (١٩) وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ (٢٠) وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ (٢١) وَحُورٌ عِينٌ (٢٢) كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ (٢٣) جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ } [الواقعة : ١٠ : ٢٤].

الخلاصة

١. هناك علاقة بين أول كلمة في السورة {وَالْفَجْرِ } وآخرها {جَنَّتِي}، تؤسس لمنهج تربوي أن صلاة الجماعة في المسجد هي الطريق إلى رضا الله والجنة، من خلال الانتقال من النفس الأمارة بالسوء إلى اللوامة ومنها إلى النفس المطمئنة، لأن لصلاة الفجر خصوصيات عديدة منها: أن الملائكة تشهد القرآن فيه، وهو أول وقت الصيام، ومصدر طِيب النفس ونشاطها، ومعي ار صدق الإيمان ونفي النفاق، والإذن لرؤية الرحمن، ومصدر النور التام يوم القيامة، ومبعث الأمل لكل من اشتدت عليه ظلمة البلاء، ونافلة الفجر خير من الدنيا وما فيها، وقراءة سورة "الكافرون" و"الإخلاص" فيها كل صباح تجدد صفاء العقيدة وتميز أهلها، كما أن لصلاة الفجر عدة لطائف فقهية وتربوية تميزها عن بقية الصلوات.

٢. يدفع منطق الإيمان إلى أعلى درجات استثمار المنح الربانية مثل الليا لي العشر سواء كانت الأخيرة من رمضان أو الأولى من ذي الحجة، بشرط ألا يقل ذلك عن انفعالنا وتجاوبنا مع الإعلانات المغرية بالتخفيضات أو فرص العمل ذات الدخل المادي العالي جدا لأن ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا.

٣. إذا أقسم الله تعالى بالشفع والوتر فذلك تأكيد لمنهجية عقيدتنا الإسلامية: "وحدانية الخالق وزوجية المخلوقات "، ولئن اختلف المفسرون إلى أكثر من اثني عشر وجها لتفسير ال شفع والوتر، فإ ن الراجح منها يؤكد ضرورة اليقين ودعوة اليهود والنصارى والمشركين إلى الاعتقاد بوحدانية الله ثم زوجية المخلوقات، سواء في النبات أو الحيوان أو الإنسان بل كل شيء حتى الكهرباء

والمغناطيسية ومكونات الذرة، وأن هذا المخلوق لا يستغني عن خالقه أولاً، ولا يستطيع أن ينفرد بالحياة دون الزوج الآخر ثانيا وبالكون حوله أخيرا، سواء كان حاكما أو محكوما، غنيا أو فقيرا، صحيحا أو سقيما، عالما أو متعلما، إنسانا أو حيوانا أو نباتا أو جمادا.

٤. يسري الليل بأمر الله تعالى، والعباد يعيشون فيه بين ليل العابدين أو العابثين، فإذا رجعنا إلى الله تعالى فيجب أن يكون ليلنا ليل العابدين، فيتحول الليل إلى أحد الأدلة على وحدانية الخالق الذي يكور الليل على النهار، ويولج ال نهار في الليل، وجعل الليل والنهار آيتين، وتتحول هذه العقيدة إلى عمل متجدد في سباق إلى الله بين الأبرار، يقضون الليل بين القنوت والسجود والتهجد والتسبيح والدعاء وتلاوة القرآن والصلاة والإنفاق والتعلم، حتى إذا أجهدتهم العبادة انتقلوا إلى عبادة أخرى وهي السكن والنوم والاسترواح أو المتعة في الحلال بين الأزواج، متجاوزين ليل العابثين الذين يمكرون بالليل ما يفسد النهار، ويغفلون عن ذكر الله، ويقضون ليلهم مع الحفلات والغناء والأفلام والغيبة والنميمة وإفساد ذات البين.

٥. يقسم الله تعالى في أول السورة كي ينتبه كل ذو عقل إلى أهمية هذا القسم وما بعده، والحِجر هو اللجام الذي يضبط نزوات العواطف بنظرات العقول، وهذا يؤكد أن النفس بحاجة دائما إلى علم يعالج الشبهات، ومجاهدة تعالج الشهوات؛ لنعالج هذا الانفلات للأهواء والنزوات سواء كانت شهوة البطن أو الجنس أو الغضب أو الكلام مما يو جب أن نجعل العقل قيِّما على شهوات النفس، موجها نحو التزام منهج القرآن والسنة عسى أن نسعد في الدنيا وأن نكون في الآخرة من أهل الجنة.

٦. ذكر الله I أن عادًا وثمود وفرعون اشتركوا في خاصيتين هما : الطغيان والفساد، فاستحقا الهلاك والعذاب، وجاء التعقيب { إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ }[الفجر : ١٤] ، ليؤكد مع نصوص أخرى في القرآن الكريم على منهجية أن "الطغيان والفساد سببان للهلاك في الدنيا والاخرة"، فلا يتخلف عن أية أمة في أي مكان أو زمان.

٧. يبدو لي أن الحديث عن قوم عاد وثمود وهلاكهم بعد الحديث عن الفجر والليالي الع شر يجعلنا نوقن في منهجية : "صلاة الفجر من أسباب النصر "، فهي تحقق جزءًا من خصائص الإيمان التي لا يتحقق النصر بغيره، وقد كان من هدي النبي ρ وصحابته الكرام أن يبدؤوا الغزو بعد صلاة الفجر، ولا يزال الصهاينة يؤكدون أن أمن إسرائيل مرتبط بالفجوة الهائلة بين عدد مص لي الفجر والجمعة.

٨. وضحت الآيات منهجية التعامل مع الابتلاء بسعة الرزق أو قلته، حتى نصل إلى نفس مطمئنة راضية مرضية، ولا يتحقق ذلك إلا بالرضا بالله ربًّا أولا، ثم الرضا عن الله في قضائه وقدره، خيره وشره، وهو يعني الشكر عند النعمة الأولى واستمرار الشكر مع طول العطاء، والصبر عند الصدمة الأولى واستمرار الصبر مع طول البلاء، فإذا لم يحقق الإنسان ذلك رضي بالدنيا وبالقعود عن الواجبات، وينتقل من سخط في الدنيا على نفسه وحياته إلى غضب الله وعذابه في الآخرة.

٩. يلزم في المال التخلية عن جمعه من الحرام ، أو منعه من الواجبات م ثل: أكل التراث أكلا لمًّا، وعدم إكرام اليتيم وإطعام المسكين، ثم التحلية بإعطاء كل ذي حق حقه في المال وحض الناس على الإطعام وكفالة الأيتام، والتأكيد على { تَحَاضُّونَ } في السورة وغيرها مما يوجب تحويل أعمال البر من المبادرات الفردية إلى المؤسسات الخيرية حتى تتم كفاية وكفالة فقراء وأيتام الأمة والعالم بشكل مستمر مستقر، وتؤكد الأدلة الشرعية والإحصاءات الواقعية على أن كفالة الأيتام والفقراء بشكل مؤسسي من الفرائض الشرعية والضرورات الواقعية.

١٠. تحث السورة بكل قوة أي مسلم أو مسلمة على الاستعداد للقاء الله قبل يوم المهاد، قبل أن تدك الأرض دكًا، ويأتي أمر ربنا والملك صفًا صفًا، ويؤتى بجهنم ويعلو الندم، ويشتد العذاب والوثاق، فإذا سأل أين المخرج؟ جاءه النداء في رحمة من الله أن يرجع الإنسان إلى ربه، وأن يدخل مع الصالحين من عباده ليكون أهلا لمرضاته وجناته، فيعود بواجبات عملية من خلال القرآن والسنة يستعد بها ليوم النشور.

١١. يلزم من سياق السورة كلها ضرورة الجمع بين صلاة الفجر وقيام الليل، ومقاومة الفساد والطغيان، ثم العودة إلى تثبيت الإيمان بالقضاء والقدر والرضا عن الله، ثم الخروج لإطعام الطعام وكفالة الأيتام فرديا وجماعيا، ثم ا لاستعداد ليوم المعاد أملا أن ننال رضا الله والجنة.

١٢. من الأهمية بمكان تحويل الترنم بآيات القرآن ، والالتزام بأحكام التجويد إلى معان ثرية وأفكار ندية، مثل المد والقلقلة والغنة واختيار الحروف، والفروق بين المد بالفتحة والكسرة، بما يؤكد أن اختيار الله تعالى لكل حرف وكلمة هو من الاختيار العميق الدقيق الذي يستحق حضور القلب وثراء العقل مع التغني بآيات القرآن الكريم.

١٣. هناك يقين راسخ أن كل آية من آيات القرآن عامة وسورة الفجر خاصة تؤكد على درس أو دروس تربوية لإصلاح النفس وأخرى دعوية لإصلاح المجتمع، فإذا اكتملا وتمانقا "الدروس التربوية والدعوية " فإن العناية الإلهية تبسط رداءها على صاحب الإيمان الذي يجمع بين التصديق بالقلب والجنان والعمل بالجوارح والأبدان . وقد قدمت السورة من الروائع التربوية في تثبيت صلاة الفجر والاجتهاد في العبادة في الليالي العشر والاهتمام بصلاتي الشفع والوتر، وقيام الليل ومجاهدة النفس بلجام العقل، والاعتبار بقصص الغابرين، ومقاومة الطغاة والظالمين والمفسدين حتى لا ينزل علينا سوط العذاب، ومن الدروس التربوية أيضا تمام الرضا بالله وعن الله تعالى، وإكرام اليتيم والحض على طعام المسكين، والحد من حب المال حبًا يدفع إلى أكل التراث الحرام، والارتعاش من هول يوم القيامة مع ما فيه من دكٍّ الأرض، ومجيء الملائكة، وبروز جهنم، وكثرة الندم، وشدة الوثاق والعذاب، ولا يجد الإنسان ملاذًا آمنًا إلا في الرضا عن الله، والتعلق بالصالحين من عباد الله تمهيدًا لدخول جنة الله.

١٤. لا يكفي أن يقوم الإنسان بهذه الدروس التربوية بل يجب أن يسعى بهمَّة نحو التزام الدروس الدعوية بترغيب كل من حولنا - من أقارب وأرحام، وأصدقاء وخلان، وعشيرة وجيران - في كل معنى تربوي اجتهد في تطبيقه، وذاق حلاوته؛ ليأخذ بيد من حوله

إلى هذه الصبغة الإيمانية في التعبد والتنسك، ومقاومة الطغيان، والرضا عن الرحمن، وإكرام المساكين والأيتام، والاستعداد للقاء الله يوم القيامة.

١٥. هناك يقين راسخ أن التزام هذه الدروس التربوية في إصلاح النفس، والدعوية في إصلاح المجتمع، هذا ينزل العناية الربانية ليكون الإنسان في بوتقة الرحمة والرعاية، ونزول الهداية، وتمام الحماية، وجمال الرضا، وسعة القلب، وزيادة البركة، والأمان من العذاب، والاطمئنان في أكناف رب الأرباب.

١٦. ينقسم الناس أمام آيات الرحمن إلى مُعرضٍ عن ذكر الله من أهل الشمال، أو ملتزم بالفرض من أهل اليمين، ومتسابق إلى الفضل من المقربين، فأصحاب الشمال سمتهم نوم عن صلاة الفجر، وليلهم ليل العابثين، وهم شركاء في الظلم والطغيان مع المفسدين، ويسخطون على الله في قضائه وقدره ويأكلون التراث ويحرمون الفقير واليتيم من حق الله في أموالهم، وهم غافلون عن الاستعداد ليوم المعاد، أما أصحاب اليمين فيصلون الفجر، ويقاومون المفسدين في الأرض، ويحمدون في السراء والضراء، ويستعدون ليوم الحساب مع ما يخلطون من عمل صالح وسيء ثم يتوبون ويعودون إلى الله، أما المقربون فهم على صلاة الفجر في المساجد دائمون، ومع هجعة الليل قائمون، وفي مقاومة الظلم والطغيان مبادرون ، وفي الضراء شاكرون، وفي السراء صابرون، ومن هول يوم القيامة يرتعدون، وفي رحمة الله راغبون، وهم الراضون المرضيون المطمئنون.

الملحتوى

المقدمة.

١. المنهجية الأولى: صلاة الفجر في جماعة طريقنا إلى رضا الله والجنة { وَالْفَجْرِ .. وَادْخُلِي جَنَّتِي}.

٢. المنهجية الثانية: استثمار الفرص الربانية { وَلَيَالٍ عَشْرٍ}.

٣. المنهجية الثالثة: وحدانية الخالق وزوجية المخلوقات { وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}.

٤. المنهجية الرابعة: ليل العابدين لا العابثين { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}.

٥. المنهجية الخامسة: "ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول" {لِّذِي حِجْرٍ}.

٦. المنهجية السادسة: الطغيان والفساد سببان للهلاك في الدنيا والآخرة .

٧. المنهجية السابعة: صلاة الفجر من أسباب النصر .

٨. المنهجية الثامنة: كيف نرضى بالله وعن الله تعالى؟ .

٩. المنهجية التاسعة: كفالة الأيتام والتعفف عن المال الحرام .

١٠. المنهجية العاشرة: الاستعداد قبل يوم الميعاد { يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}.

١١. المنهجية الحادية عشر: أحكام التجويد تثري المعاني.

١٢. المنهجية الثانية عشر: العناية الربانية.

١٣. المنهجية الثالثة عشر: { وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً }.

الخلاصة.

المحتوى

لئلة الغلاف :

هذا الكتاب ليس تفسيرا للقرآن، وإنما بحث حثيث عميق لاستنباط منهجيات الإصلاح والتغيير في سورة الفجر التي تبدأ بـ {وَالْفَجْرِ} وتنتهي بـ {جَنَّتِي} ، كما يلي:

١. **المنهجية الأولى: صلاة الفجر في جماعة طريقنا إلى رضا الله والجنة** { وَالْفَجْرِ .. وَادْخُلِي جَنَّتِي}.

٢. **المنهجية الثانية: استثمار الفرص الربانية** { وَلَيَالٍ عَشْرٍ}.

٣. **المنهجية الثالثة: وحدانية الخالق وزوجية المخلوقات** { وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ}.

٤. **المنهجية الرابعة: ليل العابدين لا العابثين** { وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}.

٥. **المنهجية الخامسة: "ألج موا نزوات العواطف بنظرات العقول"** {لِّذِي حِجْرٍ}.

٦. **المنهجية السادسة: الطغيان والفساد سببان للهلاك في الدنيا والآخرة .**

٧. **المنهجية السابعة: صلاة الفجر من أسباب النصر .**

٨. **المنهجية الثامنة: كيف نرضى بالله وعن الله تعالى؟ .**

٩. **المنهجية التاسعة: كفالة الأيتام والتعفف عن المال الحرام .**

١٠. **المنهجية العاشرة: الاستعداد قبل يوم الميعاد** { يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي}.

١١. المنهجية الحادية عشر: أحكام التجويد تثري المعاني.

١٢. المنهجية الثانية عشر: العناية الربانية.

١٣. المنهجية الثالثة عشر: { وَكُنتُمْ أَزْوَاجاً ثَلَاثَةً }.

وهكذا تبرز الدراسة ضرورة الجمع بين صلاة الفجر وقيام الليل، ومقاومة الفساد والطغيان، ثم العودة إلى تثبيت الإيمان بالقضاء والقدر والرضا عن الله، ثم الخروج لإطعام الطعام وكفالة الأيتام فرديا وجماعيا، ثم الاستعداد ليوم المعاد.